



كتاب الهلال

شائرون

تأليف

محمود تيمور



للمة شهرية
تصير عن دار الهلال



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ٤٦ - جادى الاولى ١٣٧٤ - يناير ١٩٥٥

No. 46 - January 1955

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب

(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتب

كتاب الهلال - بوسطة مصر العمومية - مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) - مصر والسودان
٨٥ قرشا صاغا - سوريا ولبنان ١٠٧٥ قرشا سوريا او
لبنانيا - الحجاز والعراق والأردن وليبيا ١١٠ فروش
صاغ - فى الأمريكتين ٥ دولارات - فى سائر
انحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا او ٣٠/٩ شلينا

كتاب الهلال

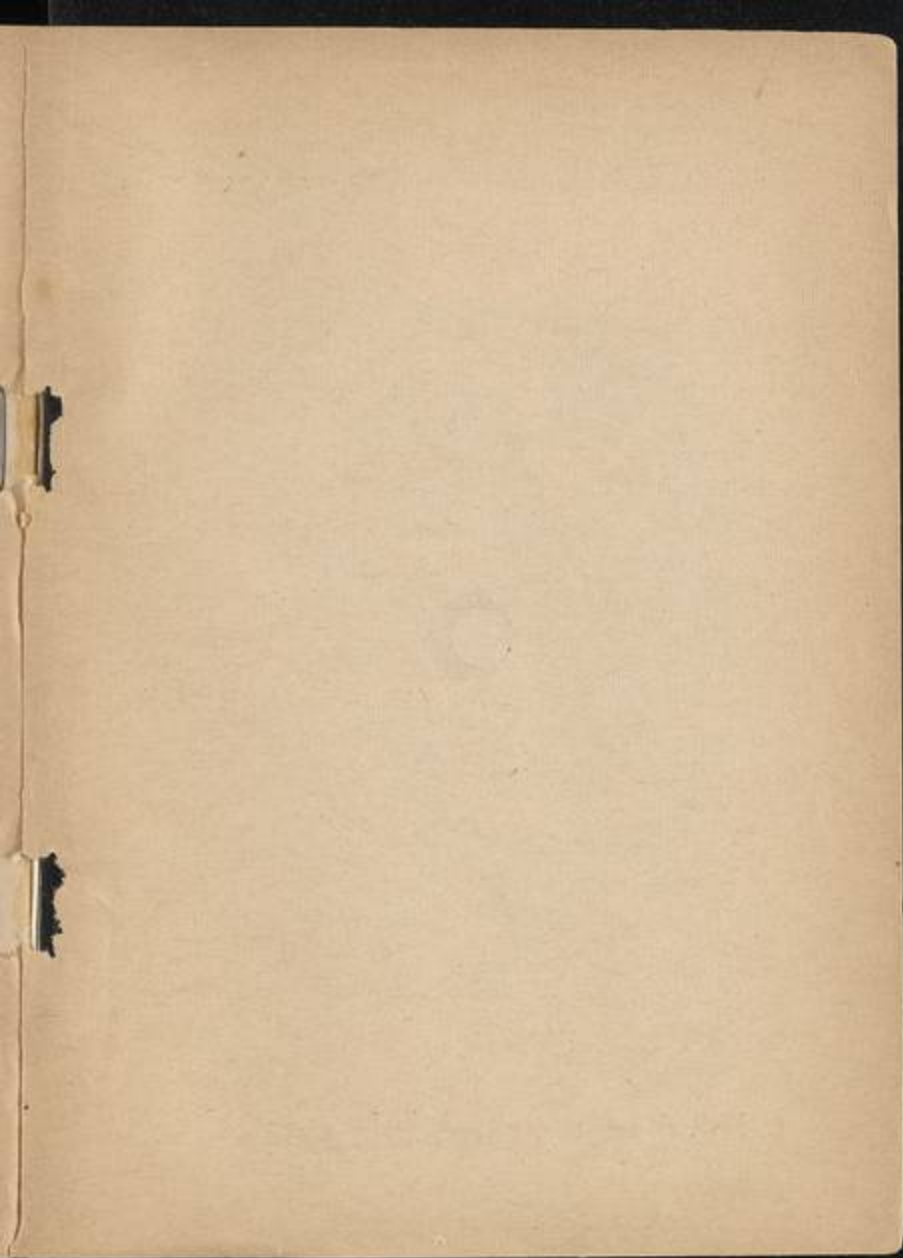
CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



3 1924 063 268 746



سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال



ثأرون

تأليف
محمود تيمور

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

OLIN

PJ

7864

A98

T24

Thairun

مقدمة المؤلف

دارت بين طائفة من الكتاب مساجلات حول الأدب :
هل هو تعبير عن النفس في محيطها الخاص ، أو هو تعبير
عن الحياة في محيطها العام ؟

وعندى أن القول بأن الأدب تعبير عن الحياة قول كله
حق وصدق ، وما أولاه بأن يرتفع عن مدار الجدل والنزاع
ما قيمة الأدب اذا لم يكن تعبيرا فنيا بالقول أو بالكتابة
عن الحياة في أوسع معانيها ؟

اذا قال قائل بأن ثمة أدباء يعبرون عن أنفسهم كان في
قوله غلو واسراف ... فالأديب الفنان يستلهم من الحياة
فنه ، ثم يعبر عن الهامه بصيغته الخاصة وطابعه المتميز .
وكلما كان الأديب أعمق تغلغلا في صميم الحياة ، وأصدق
تعبيرا عن الإلهام ، كان عمله أقوم وأثمن وأخلد
والأدب في ظاهره غاية ، وفي جوهره وسيلة ...

هو غاية ، لأن الأديب الفنان في أغلب حالاته يعبر عن حياة
تعتلج في نفسه ، لا يملك إلا أن يعبر عنها في صراحة وخلص

فالأدب تصوير لانتفاضة نفس الأديب اثناء استجابته للحياة من حوله ، وأنت فقد يسرك شيء فتضحك ، ويحزنك شيء فتبكي ، وما تعبير الأديب الا لون أصيل من ضحكة الطروب أو بكاء الحزين !

من هذه الوجهة يمكن أن نعد الأدب غاية ...

ولكن الأديب يسمو أبدا بمشاعره الى خير الانسانية حين يعمر قلبه الحب الشامل ، وتمتلئ نفسه بفتنة الجمال المطلق ، فهو اذن يرمى - واعيا أو غير واع - الى أهداف معينة ... وطوعا لهذا يكون الأدب وسيلة لاصابة تلك الأهداف على وجه عام ، وهى التسمى بالحياة وبالانسانية الى آفاق اعم خيرا واكرم مثلا ...

على انه قد يكون الأدب - من زاوية خاصة - وسيلة ظاهرة لخدمة قضية من قضايا المجتمع ، أو لعلاج مشكلة من مشكلاته ، وذلك في بلد مخصوص ، في زمن محدود ... وهنا يتوقف النجاح في العمل الفنى على مدى استجابة الأديب لهذه المشكلة أو تلك القضية ، ومبلغ ما له من صدق التأثير ، وقوة الاداء ... ومتى استطاع الأديب أن يحيا في صميم القضية الاجتماعية أو المشكلة القومية تيسر عليه أن يعبر عنها تعبيرا فنيا اصيلا يدامج أعراق البشرية ويمزج حقائق الحياة

حتم اذن أن يتوافر بين الأديب وموضوعه تلاؤم وائتلاف في جو من الحرية الطليقة ، لا فرض فيه على الأديب ولا الزام ...

فكون الادب غاية ، وكون الادب وسيلة ، قولان يترادفان
مادام الأديب موفور الموهبة ، عميق الحس ، صادق الالهام
أقدم هذه الخطرات بين يدي مجموعة من القصص ،
كانت صدى لما تجاوب في نفسى من شئون الحياة التى
تضطرب من حولى ، واضطرب انا فى عباها بقدر قليل
أو كثير ... وكل قصة من هذه المجموعة تمثل جانبا من
هذه الحياة ، وتعبّر عما يجيش به قلب مؤلفها ، مستجيبا
لما فيها من مشاهد وأحداث

ولا يتسع المجال هنا للحديث فى كل قصة من قصص
هذه المجموعة ، ولكن يطيب لى أن أجمل القول فى أولى تلك
القصص ، فهى تصور عصرا من أخطر عصور تاريخنا
الحديث ، عصر « ما قبل الثورة » ...

اولئك فئة من الشباب الحائر ، يحيون فى عهد مظلم
يتسم بالفساد والانحلال ، ولكن جوانحهم تنطوى على
رغبة مستعرة فى انقاذ الوطن مما يعانيه ، وفى نفوسهم
تضطرم روح الثورة ... الاحداث الشداد تنزل بهم
ضرباتها ، وتيار الفساد يجرفهم فى أمواجه ، فيوشكون أن
يفقدوا نزع الغالبة والكفاح ، ولكنهم يطاولون الزمن ،
ويضطربون فى الغمار ، تارة نراهم مهزومين متخاذلين ،
وطورا يتناهضون ويتواثبون ، وهم يعدون العدة لخوض
المعركة ، واصابة الاهداف . وانهم لكذلك فى حيرة واضطراب
ترجع بهم الايام ، اذا هم يأنسون ضوءا فى سماء حياتهم ،

رائع القوة والمضاء ، وان هذا الضوء الوهاج ليعيد اليهم
الثقة بأنفسهم ، فينبعثون للعمل ، مسترشدين بهديه ،
لإقامة صرح الوطن الجديد

وفي بقية القصص صور مختلفة من حياتنا المصرية
تنطوي على أهداف شتى ، وأرجو أن أكون بتقديمها قد
أسهمت فيما هو مفروض على الأديب المعاصر ، من مساهمة
وعى الأمة ، والتعبير عن أهدافها الرفيعة وآمالها الجسام
محمود تيمور



ثائرون

فئة من الشباب الحائر ، يحيون في
عهد فساد وانحلال ، وبين جنوبهم
روح الثورة ، ولكنهم يظلون في
حيرتهم ، حتى يتلقوا ذلك الضوء
الوهاج ، يهدي لاقامة صرح الوطن
الجديد

القاهرة ، أول فبراير سنة ١٩٥٢

قبل أيام قصار شب حريق « القاهرة » ، ولسنا ندرى
اى يد آثمة دبرت هذا الحريق المشؤم ؟ ما أكثر الشائعات !
اياما كان الامر فهذا حدث الأحداث فى الحقبة الراهنة .
لقد نبه الاذهان الى ان حالة القلق التى تطبق علينا يجب
ان تكون لها نهاية . هذا نذير ، وانه لنذير جد خطير !

منذ ذلك اليوم النكد ، ونحن نعانى من الهم ما نعانى :
جو خانق يأخذ بالانفاس ، ورهبة جياشة تفعم الصدور ،
وحيرة دائبة تقسو على الاعصاب

الى اين المساق ؟ لقد استبدلت وزارة بوزارة ، وربما
كانت الوزارة الجديدة ارشد من تلك التى تولت ، ولكن ماذا
فى مستطاع الوزراء الجدد ان يفعلوا ؟ اهذا كل مايجب ان
يكون بعد حادث الحريق ؟!

كلما فكرت فيما نحن فيه ، تلبدت فى راسى من التشاؤم
غيوم ...

لقد مضت شهور ، والبلد كله كأنه مرجل يغلى فوق نار
ثمة حرب عصابات عن كذب من القناة ، موجات
لا تكاد تشتد حتى نراها تتردد ، لقد استبد بالناس الحق ،

والتهبت مشاعرهم ثورة على الاجنبى المحتل ، فلم يكن في
مقدورهم الا ان يقضوا مضاجعه ، حتى لا يجد مقيضا من
الرحيل . وانى له البقاء في بلد يمقته فيه اهله ، ويبيتون له
اسباب الافلاق والترويع . ولكن اليس ت تلك الحرب الخفية
الى حين ؟ الا يسرع اليها الكلال والفتور ؟

شدهما تضاربت الاقاويل في شان اولئك الفدائيين
الاحرار ... كيف تتألب منهم الجماعات ؟ ومن اين تواتيهم
الذخيرة والعتاد ؟ واى امرة ينضوون تحتها في هذا الجهاد ؟
تلك الغاز لا تنكشف ضمائرهما في وضع النهار !

قبل ذلك الحريق كانت كليات « الجامعة » مهوشة يمور
فيها الاضطراب ، ولكنها مفتحة الأبواب تواصل الدرس على
اية حال ... كنا نحن الطلاب حشودا في المدرجات
او الساحات ، نخطب او نناقش ، وربما افضى بنا خلاف
الرأى الى مشاتمة وعراك ...

اما اليوم ، فالكليات مغلقة ، والطلاب اشتات ، والحياة
جهامة وعبوس ، والقيود الثقالة مفروضة على السهر
والتجوال والاجتماع

يا لهذا الضيق الذى يحاصرني من حيثما اتلفت ، يزيد
من حدته على ان ينتابني سعال ، سعال خشن تنقض منه
الضلوع ، وامى بجانبى تلزمنى ان انفذ ما نصح به الطبيب ،
وتنهانى ان اريم الفراش ، وتؤنبني كلما لمحت منى بوادر
الانطلاق

الزم فراشى ؟! الطبيب محق ، وامى على صواب ، ولكن

كيف لى أن احتمل قيذا جديدا فى هذه الأيام السود ؟ اليس
حسبى ما يكبلنى من قيود ؟ ماذا يراد بى ؟ أأكون خرقة
مهلهلة يوسدونها الفراش ، ويتركونها تبلى على مهل ؟!

— ٢ —

الثانى من فبراير سنة ١٩٥٢

نفثت دما صباح اليوم ، فاخفيت النفثة فى منديلى ،
ولم أره أمى ، ماذا فى الأمر ؟ أأكون حالتى الصحية لا تبعث
على الطمأنينة ؟ ولكن ألم أنفث دما قبل هذه المرة ؟
أذكر انى منذ شهر ، كنت اعتلى احد المقاعد ، بين
الطلبة ، مسترسلا فى الخطابة ، فامتلكتنى سعلة ، وأخرجت
المنديل اتفل فيه ، فاذا هو يتلقى نفثة حمراء ، وراعنى
ذلك أول وهلة ، ولكنى تجلدت ، وتابعت القول ، بيد أن
الطلاب ثاروا بى ، ولم يرقهم قولى ، فعجلت من فورى الى
الدار ، متخاذل الاوصال ، وانتحيت بامى ناحية اريها
المنديل ، وأنا أقول لها ضائق النفس :

— ساموت ... ساموت ... لا خير فى هذه الحياة ...
سأرحل عنها غير آسف !

فأخذت أمى تلاطفنى ، ثم احتضنتنى ، وقبلتنى ، وهى
تقول :

— ما هذا القول يا « يسرى » ؟ أنت تؤثر الموت على
الحياة ؟ لماذا ؟ لأن انحرفا يسيرا ألم بصحتك ، فى مقدورك
الخلاص منه اذا اذعنت لما يقضى به الطبيب ؟ قليل من

الراحة كفيل بأن يرد عليك العافية موفورة كما كنت من قبل

فصحت بأمرى :

- انى انشد الموت ، لا أجد من حولى شيئا يبعث على الرضا ... انى اختنق ... انى هالك لا محالة !

- كيف ذلك ؟ لقد صدقنى الطبيب فى وصف حالك ، اكذلى الا خوف عليك متى عنيت بنفسك ...

- اخبرينى يا اماء ، ماذا فى الدنيا جدير أن احيا من اجله ؟

- كل شىء فى دنياك جدير بالحياة .. الحياة جميلة يا بنى حسبك أن تحيا من اجلى ، لاحتضنك ، لأقبلك ، لأراك تنمو أمامى وتزدهر ، لأشهدك فى قابل أيامك رجلا عظيما ... كايك !

- أبى ؟! ... لقد كان عظيما حقا ، وابن انا منه ؟ لقد كان صلبا مكافحا ، وما حظى من الصلابة والكفاح ؟

- لتكونن مثله ان شئت ... اعلم انى احبك ، لأنك بضعة منه ، لأنك متمم له ، لأنك مثاله .. لأنك هو عينه وتلقت وجهى بين يديها ، وهى تحدى الى بعين متهومة ، وتقول :

- انت هو ... هو « مجاهد السمري » أبوك ... لا أعدده قد مات وأنت على قيد الحياة .. لا تغيب عنى شمس أبوك ما دمت أنت يا « يسرى » مشرقا أمامى ! وتعاقتنا معا فى صمت جياش ...

الثالث من فبراير سنة ١٩٥٢

ابى ... ابى ... اكون على قراره ؟ افى طوقى ان اسير سيرته ، واحوز بعض امجاده ؟ انا الشاب الواهن ، ذو الاعصاب المختلة ، والتفكير المضطرب . انا الذى احس الضيق بكل شيء : الضيق بالدرس ، فقد اخفقت فى امتحان العام الماضى ، وهانذا اعيد السنة الاولى بالكلية ، والضيق بالمطالعة ، فما قرأت من الكتب الا النزر اليسير ، والضيق بمواصلة العمل فى جد ومثابرة ، فما اذكر انى قمت بشيء افخر به ...

من اين لى ان اكون مثل ابى « مجاهد السمرى » ، ذلك الذى عمل مع « مصطفى كامل » ، ونفى مع « محمد فريد » وعاد مكافحا مع « سعد زغلول » ، فعانى مذلة التشريد ، وذاق مرارة الاعتقال ، واطبقت عليه ظلمة السجن ، ونالت منه طعنات الحراب الانجليزية فى الثورة المصرية سنة ١٩١٩ وظلت هذه الطعنات وسمة بل وساما على جسده بقية ايامه على ظهر الأرض

ما اتفستنى اذ لم تتح لى الاقدار ان احيا معه الا سنوات لا تزيد على الثمانى ، وقد خلفنا بعد ذلك وهو فى اوج رجولته ، وانا فى سن غريرة ، والبلد احوج ما يكون لامثاله المجاهدين

لست انساه ... مربع القامة ، مستدير الوجه ، تتالق فى عينيه نظرات نفاذة

كنت أخشاه ... أخشى صوته الجمهورى العريض ،
ولكنى ما زلت اذكر حنانه لى ، وهو يمسح على رأسى ويقبلنى
جالت بخاطرى هذه الافكار والذكريات ، فنهضت من
فورى الى تركة أبى من اضميم الصحف والمجلات والصور
تلك التى كان يحرص عليها أشد الحرص ، ويعنى بها كل
العناية ، ويرى فيها سجلا للوثبة الوطنية منذ فجرها
الأول ... انها تحوى مواقف الرائعة ، وخطبه الحافلة ،
الى جانب المواقف والخطب الماثورة عن الزعماء والابطال
جلست الى تلك الذخيرة اتعرف وأتصفح وأقرأ ، ومن
حولى تتكاثر الذكريات وتتداعى ، حتى تألفت منها صورة
كاملة لبطولة الجهاد وصدق الكفاح ...

وفيما انا على هذه الحال ، اذ سمعت خفق اقدام ،
ورفعت رأسى ، فاذا صديقى « نزهى » يقدم على ، ويبتسم
لى ، فقلت له احببه ، وأصافحه ، فابتدرنى يقول :
- أنت بين هذه التلال دائما لا تمل ...

وانكب يشاركنى فى التصفح والمطالعة والتعقيب ، ثم
انثنينا نترشف القهوة ، وطفق يقص على ما تساقط اليه
من انباء واحاديث

السلطات الحكومية جادة كل الجد فى القبض على المشاغبين
الذين تحسب انهم أسهموا فى الاحراق وما تبعه من سلب
وانتهاب ، انها تجمع منهم العشرات فى اثر العشرات ، وتمهد
طريقهم الى القضاء ... احقا ان اولئك هم اصحاب الحريق
الاصلاء ، اليسوا هم شرادم من غمار الجمهور ؟ قل انهم

صعاليك ، أو قل ان فيهم صعاليك ، ما كادت تلوح لهم
فرصة الاختطاف والعبث والفوضى حتى اوغلوا ، ولكنهم
على أية حال أفرار ، وهم صرعى ما يكابدون من سوء
العيش ...

اين الرعوس الكبيرة التى دبرت ذلك الشغب الخطير ؟ ان
تلك الرعوس هى التى ترسم الخطط ، وتتيح الفرص ،
وتتخذ من الاوشاب والمستضعفين مخالف القطط ،
ثم تستكن الرعوس بمنجاة من العيون ، وتدع لأولئك الأغمار
والهمل ان يسقطوا فى الشباك والاشراك كما تسقط
الفراشات على ضوء اللهب !

وانبرى « نزهى » يتحدث ، والسخط بالغ منه كل
مبلغ ، وكنت أصفى اليه ، لا أقطع الحديث عليه ، وكان
صديقى هذا طلق اللسان ، قوى المنطق ، يكبرنى بأعوام ثلاثة ،
وهو يعمل فى الصحافة ، تارة يكتب بعض النبذ ، وطورا
يقدم بعض الرسوم الساخرة ، ولم يكن موفقا فى عمله
الصحفى ، ولذلك كان مقترا عليه فى الرزق ، وكثيرا ما أحس
الضنك والعسر ، بيد أنه لا يبالى ذلك كبير مبالاة ، فليس
هو بنذى أسرة يعولها ، وليس هو بنذى طموح الى كسب
موفور

وقال لى « نزهى » فيما قال :

- اتطيب لك هذه الحياة ؟ أرايت اليهم كيف يزجوننا
فى البيوت عند غيوب الشمس كالأفراخ ؟ كيف أحبس نفسى
سواد الليل كله فى حجرتى المتضايقة ، وقد الفت أن أسهر

حيث اشاء ؟ اريد ان اتنفس في جو الحرية والطلاقة ، اريد
ان اجتلى الطبيعة في سجوة الليل ... !

— وماذا انت صانع يا « نزهى » ؟

— لقد دبر لنا « عبد الحكيم » حيلة طريفة ، لعلها تروقك
فنقضى الليل كما نريد في غير محبس

— أين ؟

— في قهوة « السويفى » على مدخل قرية « الهماميل »
... انها أول قرية لا يتناولها قانون حظر السهر خارج
« القاهرة »

وكنت اعلم ان هذه القرية هى مسقط راس رفيقنا
« عبد الحكيم » ، وقد اصطحبنا اليها في العام الماضى مرات
فذهبنا اليها راجلين ، من طريق « الزمالك » ، وقضينا
هنالك في قهوة « السويفى » بعض الأصائل والأمسيات ،
وكانت هذه القهوة غاية في التواضع ، مشرفة على النيل ،
فاذا اخذنا مجالسنا فيها شرعنا نكرع اقداحا من شراب
الحلبة يجيد صنعها « الحاج محمد السويفى » صاحب القهوة
نفسه ، وكنا نمضى الوقت في نقاش سياسى موصول الحلقات
أو نصغى الى الحديث الشائق الذى كان يمتعنا به « عبد
الحكيم » فى شأن مفاخراته ومناوشاته اثناء المواقف القومية
على راس عصبة من أمثاله الوطنيين الأحامس ، والعدائين
الاحرار . فاذا انخرط فى حديثه ، وعلا صوته ، واشتدت
حماسه تجمع من حولنا صاحب القهوة « السويفى » ،
وغلامه « فلافل » ، ومن يتفق حضورهم من أهل القرية

يستمعون إلينا في كثير من الشفف والاهتياج
 وما كاد رفيقى « نزهى » يعرض على فكرة السهر في
 تلك القهوة ، حتى تنفست الصعداء ، وقلت :
 - فكرة طيبة يا « نزهى » ... ولكن متى نذهب إليها
 ومتى نعود ؟
 - نخرج من منطقة « القاهرة » قبيل السابعة ، ونعود
 إليها بعيد الفجر
 ولقينا « عبد الحكيم » عند جسر « الزمالك » ، قبل
 موعد الحظر ، فسايرناه على ضفة النيل ، نترنم ببعض
 الأهازيج
 وكان « عبد الحكيم » عظيم الجرم ، ضخم الرأس ، حديد
 النظرات . وبينما هو بجانبى يتفنى ، اذ أمسك عن الفناء
 والتفت الى ، مربتا كتفى ، يقول :
 - ما هذا يا « سمرى » ؟ كيف تخرج لقضاء الليل في
 الطريق وانت مريض ؟ كيف طوعت لك نفسك ان تترك
 الفراش ؟
 فأجبتة اتحدى :
 - صحتى حسنة ، أريد أن اتنشق الهواء الطلق
 - انى أحب الشجاعة والاقدام .. ولكن ...
 وانبعثت من فمه ضحكة شواء ، فنظرت اليه متفحصا
 فاستكمل قوله :
 - ولكن لا أريد ان أعود بك الى « القاهرة » محمولا
 على عاتقى !

فصحت به ، وانا اكظم غيظي :
- سنرى اينما يحمل صاحبه ...
فضرب كتفى يقول :

- لا بأس ... عندما تخور قواى ، سأتسلق كتفيك
كأنى طفل رضيع !

وأرسل ضحكته الشوهاء ، ثم استأنف الفناء

ورفيقنا « عبد الحكيم » أعلننا سنا ، وأوفانا تجربة ...
خبر الدنيا ، وعرك الحياة ، فقد أباه وأمه وما برح فى الصبا
الباكر ، وتراخت صلته بأهله ، فلم يكن له من عائل . ومن
ثم شب طليقا لا يخضع فى شأنه لأمر أو نهى . وهو فدائى
متمرس ، عمل فى حرب « فلسطين » ، ثم عمل فى معركة
القناة ، وأصابته جراح كادت تقضى عليه . وقد انقطعت
به سيل التعليم ، اذ حاول النجاح فى امتحان الشهادة
الثانوية ، فأخفقت محاولاته ، فثار على المدارس والامتحانات
واخذ يردد :

- الحياة لا تطلب منا علم الكتب ، وشهادات المعاهد ،
وانما تطلب منا القلب الجسور ، والساعد الأشد ...
واهتدى صاحبنا الى بعض الجماعات السرية ، فانضم
اليها ، وشارك فى أعمالها ، ولكنه ما عتم أن انصرف عنها ،
وهو يقول :

- أنا لا أقبل أن اعمل لحساب المستغلين ... اريد أن
اعمل فى غير فرض على .. ماذا يظنون بى ؟
ولم يكن يستقر له قرار ، فكان ينظم بعض العصابات ،

وبيث الدعوة هنا وهناك ، ولا يفتأ يعمل بكل سبيل
وعلى الرغم مما فيه من فظاظة وعنجهية ، وما يبدو من
اعتزازه بقوته وسطوته ، كنت اكبر منه الجراءة والتحدى
وأمجد فيه الحماسة والافتحام

ومن عجب أن ثالوثنا - على تآلفه - يجمع بين شخصيات
متنافرة ، الأولى تتميز بالضخامة والتهور ، والثانية
شخصية فنان مفتون بالطبيعة ، يعبر عن أفكاره وأهوائه في
مقالات أو رسوم ، والثالثة الأخرى شخصيتى ... مريض
مهذوم البنية ، يحاول أن يكون شيئا مذكورا في هذه
الحياة !

ولكن هذا الثالوث ، وإن تنافرت مظاهره البادية ، فإن
ثمة رباطا متينا يلم شمله ، ذلك هو أننا جميعا نألم أشد
الآلم لما يتفشى مجتمعنا من اختلال ونقص ، ونرغب اصدق
الرغبة في أن نضطلع بعمل موحد في سبيل رفعة هذا البلد
الأمين

وبفتة سكت « عبد الحكيم » لا يفنى ، ونحن نسير والنيل
فسكتنا معه ، وإذا هو يقف ويظل على صمته لحظات ، وقد
تجهمت ملامحه ، ثم يواجهنا بقوله :

- ما بالنا نفنى ؟ اليس الفناء دليل فرح وارتياح ؟ مالنا
والفناء ، والبلد في تعاسة وشقاء ؟
فتصدى له « نزهى » يجيبه :

- اننا نتضاحك ونتفنى ، خشية أن تتعالى أصواتنا
بالعويل والانتحاب !

فقال له « عبد الحكيم » :

— الانتحاب والعويل ؟ اى انتحاب واى عويل ؟ اتسوغ
لنفسك ايها الفنان العظيم ان تبكى ؟ افى ماتم نحن ؟
فقال « نزهى » :

— ماذا تريد ان نفعل اذن ؟ اننا بين اثنتين ، فاما طرب
وابتهاج ، واما حزن واغتمام ...
فصاح « عبد الحكيم » :

— كلام فارغ ... انت يا « نزهى » لاتحسن الا الاعتراض
... لا تجيد الا الجدل ...
فضحك « نزهى » وهو يقول :

— حمدا لله على ان هناك شيئا اجيده ، اما انت فماذا
اجدت من شيء ؟!

فوقف « عبد الحكيم » فجأة ، واستدار الى ذراع « نزهى »
يعتصرها فى عنف ، وهو يجابهه بقوله :

— اتجرؤ ان تسألنى ماذا اجيد ؟ الا تعرف مواهبى ؟
اليس لك علم بقيمتى ؟
فاستخلص « نزهى » ذراعه من قبضة صاحبه ، وهو
يجيب فى لباقة :

— آمنا يا سيدى ان لك مواهب ، ولكن كما يقول المثل :
سبع صنائع فى ايدينا ، والهـم بائن علينا ... !

فلم يعقب « عبد الحكيم » على قول « نزهى » ، وواصل
سيره ، وخيم علينا الصمت ، ثم سمعنا « عبد الحكيم »
يتصايح بقوله :

— لا أريد أن أسير في جنازة ...

وإذا هو يتغنى في تضاحك وتهريج

وتابعنا الخطا ، نتملى صفحة النيل الوداع ، واستار
الظلمة تهبط عليه في ترفق ، وجوانبه خلاء لا يلوح فيها
شراع ...

وآنسنا ضوءاً هزيلاً تتخايل من حوله ظلال وأشباح ...
هذه قهوة « السويفى » تقوم على مشارف القرية ...
ودخلنا القهوة ، فإذا هى كما هى : حجرة حقيرة يتدلى
من سقفها مصباح كدر يتلاعب به الهواء ، ومناضد ثلاث
من خشب ناخر ، ومقاعد من قش متهاكة لا تحتمل دعابة
جالس ، وأركان موحشة لا يكاد يبلغها الضوء ، ورفوف
عليها بعض العلب والأشياء ... لم تكن قهوة « السويفى »
مستقلة لهذا الغرض ، وإنما كانت قهوة وحنوت بدال في
آن ، ومن فوقها حجرة يقيم فيها « السويفى » وأسرته
وهل علينا صاحب القهوة ، رمادى اللحية ، عريض
الوجه ، بارز الصدغين ، وأخذ يسمح المنضدة بطرف
جلبابه ، ثم جعل يتفرس فينا قائلاً :

— يبدو انكم قطعتم مرحلة طويلة ، فأنتم مجهودون ، عليكم
عفوة ، خذوا راحتكم ، الحلبة حاضرة ... منذ زمن بعيد لم
تشرف بكم القهوة ... الحمد لله على سلامتكم
ثم صاح :

— يا « فلافل » ... يا « فلافل » ...

فلباه صوت مكدود يقول :

— حاضر يا معلم ...

وبدا « فلافل » في سروال ممزق ، كاشف عن أوصال معروقة ، وصدار الح عليه النحول ، وتكاثرت فيه الفتوق وكان حافيا يحمل صندوقه الخاص بمسح الأحذية ، ويتأبط اضمامة من الورق المقوى تحتوى على بعض الصحف والمجلات

كان « فلافل » يقوم في القهوة ، بل في القرية كلها ، بوظائف ثلاث : غلام القهوة ، وماسح الأحذية ، وبائع الصحف ... ولم يكن أحد غيره يزاول شيئاً من هذه الأعمال ، فاحتكرها لنفسه دون منافسة ونزاع

وصاح « السويفى » يقول لفلامه « فلافل » :
— هلم يا ولد الى أحذية السادة فانفضها ولمعها احسن تلميع

وسرعان ما اطاع الغلام ما امر به ، فاقبل علينا يتخذ على فمه ابتسامة زاوية ، ودفع بصندوقه العتيق تحت قدم « عبد الحكيم » ، واقتعد الأرض يتناول بيديه الحذاء ينظفه ويظليه

وأدبر عنا « السويفى » يعد لنا شراب الحلبة ، وجعلت ارنو الى الغلام ، الى هذا الشبح في ثوبه الهلاهل ، وهو يزاول تنظيف الحذاء في حركات راتبة عليها ملالة وخمول .. ولمحت « نزهى » يخرج ورقة فيخط عليها رسم ماسح الحذاء في وضعته تلك

والفيتنى ابادى الغلام بقولى :

— ما بال القهوة فارغة يا « فلافل » ؟

— الناس منكشون يا سيدى ...

— كيف ؟

— منكشون فى بيوتهم ... يخشون الخروج !

— ولكن البلدة لا يشملها قرار حظر السهر ...

— الخوف يسرى فى الناس ، سواء منهم من شملهم قرار

الحظر ومن لم يشمل ، والنفوس فى حرج واغتمام

فهمهم « نزهى » وهو ماض فى اتمام رسمه التخطيطى

لماسح الحذاء :

— انهم اشاعوا الرعب بين الناس ، فأصبح كل امرئ

يخاف من خياله

فنابتنى سعلة ، واحسست راسى يطوف به دوار ،

وجبينى ينضح العرق ، فاجتهدت ان أتغلب على ضعفى ،

وقلت :

— يجب ان نعمل شيئا ... يجب ...

فرفع « فلافل » بصره الى قائلا :

— حقا ... يجب ان تعملوا شيئا ... نريد ان نأكل

لقمة الخبز فى هناءة !

وقال « نزهى » وهو يستكمل الرسم :

— لقد بلغ بنا الضيق منتهاه ... لست ادرى لماذا لانعمل

شيئا ؟

فقلت :

— علة البلية ما نحن فيه من فرقة وتفكك ... انذكرون
كيف كانت الأمة يدا واحدة وصوتا واحدا في ثورتنا الوطنية
سنة ١٩١٩ ؟

وقدم « السويقي » بحمل الصينية ، عليها اقداح اترعت
بشراب الحلبة ، وكان قد تصيد اطراف الحديث ، فقال
على الفور :

— ثورة سنة ١٩١٩ .. لله تلك الايام ... كنت يومئذ
يافعاً أخضر الشارب .. وما اكثر ما هتفت : يحيا الوطن !
وانتهى « فلافل » من تنظيف حذاء « عبد الحكيم »
و« نزهى » فترحزح الى ينظف حذائي ، وكان « عبد
الحكيم » يلوذ بالصمت في أثناء ذلك الحوار ، ولكنه كان صمت
المستوفز ، واذا هو ينهض من مقعده بغتة ، ويضرب كتف
« السويقي » صائحا :

— كم عدوا قتلت في سنة ١٩١٩ ؟
فوجم الرجل ، وأرتج عليه ، ثم انحنى على شاربه يفتله ،
وقال :

— ما احسبني قتلت منهم احدا ...
فقال « عبد الحكيم » :

— اذن فانت لم تفعل شيئا ...
— كيف ذلك ؟ لقد كنت احمّل الراية ، واصرخ بأعلى
صوتي ، والجموع من ورائي تردد الهتافات

— ماذا افدنا من ترديد الهتافات وحمّل الرايات ؟ لا بد
من عمل ايجابي . كنتم الآن تتحدثون فيما يجب ان نعمله

لخير الوطن . واجبنا شيء واحد ، أن نشور ، أن نحارب ،
أسامعون ؟

وأمسك « فلافل » عن الحذاء ، ومسح بظهر كفه لعبابه
المتسائل ، ورايته يقلب في وجه « عبد الحكيم » نظرات
حائرة

والتفت « عبد الحكيم » الى ورقة الرسم التخطيطي في
يد « نزهى » فتناولها وهو يقول له :

— ماذا اسميت هذا الرسم ؟

— سميته الهزيمة !

وطفق « عبد الحكيم » ينظر تارة الى الرسم ، وتارة الى
« فلافل » ثم صاح :

— حقا هزيمة ...

وانطلق يتضحك في سخرية

وعجل « نزهى » الى الورقة ، ينتزعها من يد « عبد
الحكيم » وهو يقول :

— ألم يعجبك الرسم ؟

— كيف ؟ انه هزيمة رائعة ، ولكنى اصارحك بانى لا احب
هذا النوع من الرسوم ... لسنا يا صدقى بحاجة الى من
يرسم لنا الهزائم ، نحن أحوج ما نكون الى من يرسم لنا
الانتصارات !

فقال « نزهى » :

— الانتصارات ؟ واين هى ؟ انى أرسم ما أرى ...

أرسم الواقع ...

وأشار الى « فلافل » وهو يتم قوله :

— هذا المنكود الذى نراه بأعيننا انما يمثلنا جميعا فى تلك
الفترة العابسة المشؤمة من حياة الوطن
فصاح « عبد الحكيم » :

— انه يمثلكم انتم ... أما انا فلا ... انه لا يمثلنى أبدا
... انصح لك يا « نزهى » أن تتجه بفنك وجهة اخرى ،
وجهة استنهاض واستبشار واعتزام

ثم راح يرمى ببصره من حوله ، وهو يقول :

— لا أدري لماذا توخينا هذا المكان المهجور ؟ بودى أن
نتحدى قانون الحظر ، وأن نبرز الى الطريق غير مباليين !
فهمهم « السوفى » :

— ان الخارجين على هذا القانون مهددون باطلاق الرصاص
عليهم فى غير رحمة
فقال « عبد الحكيم » :

— وماذا فى هذا ؟ ماذا فى أن نفقد واحدا او اثنين أو ثلاثة ؟
فقال « نزهى » :

— وأى نفع للوطن فى أن نبذل انفسنا على هذا النحو ؟
فأجاب « عبد الحكيم » :

— ليعرف المواطنون أن هنالك احتجاجا عمليا على هذه
القوانين الفاشمة

واندفع الى الطريق وهو يقول :

— لا أريد أن أبقي حبيس هذا الوكر .. أريد أن اشم
الهواء الطلق

ولزمت مجلسي مهتاج النفس ، والفيت « نزهى » يجرى
للمه على المنضدة ، يخط عليها خطوطا معتسفة ، وهو
ضرب الارض بقدميه ضربات غير متسقة ، اما « فلافل »
نقد لبث متجمعا بجوار صندوقه واضمامة صحفه ومجلاته
وهو يسارقنا النظر ، وسمعت « السويفى » يهمس :

— اقول لكما الحق .. انى اخشى على صاحبكما « عبد
الحكيم » ان يصيبه اذى ... هذا وقت لا امان فيه
فقلت لاهف الانفاس :

— ليكن مايكون ... فليس هناك وضع اسوا مما نحن
فيه .. ماذا فى ان يقبضوا علينا ويقذفوا بنا فى المعتقل ؟
فقال « السويفى » :

— اتعرف المعتقل يا سيد « سمرى » ؟

— كيف لا اعرفه ؟ لقد اعتقل ابى ، بل نفى ، بل جرح
فى سبيل المطالبة بحق الوطن
فرفع « السويفى » راسه يقول :

— لكى تعرف الاعتقال والنفى لابد ان تذوقهما بنفسك
... اما انا فقد اعتقلت وحبست وذقت ماذاقه ابوك ،
وماذا افدنا ؟ ذلك هو البلد ، ما زالت احواله مختلة ،
واوضاعه سيئة ، والكبراء يأكل بعضهم بعضا ... لمن
تبدلون انفسكم ؟ اخبرونى لمن ؟

فقال « نزهى » :

— لنقلب البلد راسا على عقب ... علينا وعلى اعدائنا
فقال « السويفى » وهو يمسح شاربه :

لو ط
- انى هذا الاجراء شىء من العقل ؟

فقلت فى احتياج :

ه
- اتريدنا على ان نسكت لا نصنع شيئا ؟!

فانهال « السويفى » على شاربه يجتذب شعراته ، و
يرمق الأفق الحالك من خلال النافذة ، وقال :

عليه
- وماذا نملك الا السكوت ؟ فلنصبر حتى يفرج
الكرب ، ويحل العقدة

وبدا « عبد الحكيم » بباب القهوة ، وقد سمع جم
« السويفى » فقال :

من
- الله يأمرك ان تحل عقدتك بنفسك .. لا تتشدد باس
الله فى غير معنى

فقال « السويفى » :

ف
- ما هذا يا سيد « عبد الحكيم » ... نحن نقول انك
رجل عاقل ، وانك مؤمن بالله ... نحن لا نملك لانفسنا
ضرا ولا نفعا .. الله يفعل مايريد

فقال « عبد الحكيم » :

ف
- ليس فى قولى ما يخالف العقل ، ويجانب الايمان بالله
فتدانى منه « السويفى » ، ومازالت انامله تعبث
بشاربه :

»
- وماذا نحن صانعون اذن ؟

فقال « عبد الحكيم » جهرة :

فل
- لا بد ان يكون لكل امرىء منا هدف يقصد به مصلحه

لوطن ، وخطه مرسومة لبلوغ ذلك الهدف . احب ان اسالك
يا سيد « سويفى » ... ماذا تطلب ان تحققه لكى تنفع
به وطنك ؟

فغفر الرجل فاه ، وظل صامتا يفكر هنيهة ، ثم قال :
- كل امرئ منا يبتغى تحقيق مطالب كثيرة ...
فقال « عبد الحكيم » :

- اقصد مطالبك النافعة لوطنك ، والتي يعود نفعها
عليك انت ايضا ...

ومكث « السويفى » ساهما يحلق بفكره ... لا يجيب
فادلى « عبد الحكيم » بنظره الى « فلافل » يقول له :
- وانت يا « فلافل » .. ماذا تنشد ان تحقق فى دنياك
من الامور النافعة ؟

فشاعت ابتسامة على الوجه المهزول ، ثم طأطأ رأسه
فى استحياء ، فقال « عبد الحكيم » :

- لا تخجل ... كن صريحا ... ماذا تريد ان تحققه
فى الدنيا ، لكى تنفع به بلدك ... انظر الى .. وتكلم ...
فرفع « فلافل » رأسه يواجه « عبد الحكيم » ويقول :
- اريد ان اكون سكرتيرا لنقابة الصحفيين !

فارتجت ارجاء القهوة بقعقة من التضاحك ، وافرقت
« السويفى » فى قهقهته ، وهو يمسح عينيه ويقول :

- سكرتير نقابة الصحفيين دفعة واحدة يا « فلافل » ...
فلتقنع بأن تكون : سكرتير ماسحى الاحذية أولا ..

وأخذ الفلام بما سمع ، فظلمت محياه سحابة كدراء
وزاغ عنا ببصره ... فقال « نزهى » وهو يكتنم ما بقى
من تضاحكه :

— ولماذا لا يجمع بين المنصبين ؟
ورائنا « عبد الحكيم » ينحاز الى الفلام المتكتمش المخدو
قائلا له :

— تستطيع يا « فلافل » أن تكون سكرتيرا لنقابة باع
الصحف ... ولكن بشرط
فاشراب « فلافل » يستوضح ، فاتم « عبد الحكيم »
قوله :

— بشرط ان تتدرب على القتال ...
فأقحمت نفسى أسأل :
— القتال ؟ ما العلاقة بين القتال وسكرتير نقابة باع
الصحف ؟

فأجاب « عبد الحكيم » مرفوع الهامة ، رزين النبرات :
— لا تستطيع أن تعمل شيئا في الحياة الا اذا انميت بين
جنبيك خصائص الجندي ... تعلم أن تقاتل وأن تصرع
العدو ، فان فعلت وجدت الحياة أمامك معبدة الطريق
فقال « نزهى » :

— وأنت يا « عبد الحكيم » ... الا تفصح لنا عن هدفك
الأكبر في الحياة ؟ ماذا تطمع أن تحققه ؟
فأسرع « عبد الحكيم » يقول :

عجبا لك ... اما فطنت الى هدفى فى الحياة ؟
وجدتنى اقول فى فضول :

ناشدتك الله ان تخبرنا ...
بصاح :

هدفى .. هدفى .. ان انشئ معسكر تدريب ، وان
وا جميعا تحت امرتى جنودا فيه ، اعلمكم كيف يكون
العمل ؟ وكيف تصبحون ابطالا تملأ قلوبكم العزة والكرامة
مر جنوبكم الشجاعة والاقدام
احدقت نظراته بنا ، ثم استأنف قوله :

ذلكم هدفى .. وقد صارحكم « فلافل » بهدفه ...
يبرونى انتم ما اهدافكم

فتبادلنا النظر ، انا و « نزهى » و « السويفى » ، ولكننا
نلفظ من قول

فصاح « عبد الحكيم » :

انى اجيب نائبا عنكم ، اهدافكم ان تعملوا تحت امرتى
ن تدعونا لما اوجهكم اليه ...

- ٤ -

العاشر من فبراير سنة ١٩٥٢

انتكست صحتى أسوأ انتكاس ، وكانت النكسة من
اء ذهابى الى قرية « الهماميل » سعيا على القدم
ننائى الليل بأسره فى قهوة « السويفى » هنالك ، فقد
ت الى الدار صباحا لا اكاد امسك الرmq ، وكنت اقطع

طريقى متهالكا متداعيا اجاهد واجالد ، واشعر بانى اوشك
ان اسقط ، ولم يشدد من عزمى الاخشيى ان يتحقق
ماتوقعه لى « عبد الحكيم » ، ونحن الى القرية ماضون .
اذ قال لى انه لا يريد ان يعود بى الى « القاهرة » محمولا
على عاتقه !

واضطرت ان امكث حليف الفراش بضعة ايام ، مطيع
ما امرتنى به امى من الاعتكاف ، وقد بذلت هى غاية الوسع
فى تمرىضى وعلاجى ، حتى ابللت بعض ابلال .

وقد عادتنى رفيقى « نزهى » واعلمنى بانه امضى هو
و « عبد الحكيم » ليلة فى قهوة « السويفى » ، وقد لاحظت
هو على « عبد الحكيم » امعه بانه فى التجهم ، واغراقه فى
الصمت والتأمل .. وايقن من ذلك انه يسر فى نفسه
امرا يزعم القيام به ، ولكنه يعدنا صفارا لا يجدر بنا ان
نطلع على اسراره الجسام

وقلص « نزهى » شفتيه ، وقال :

— لا يروقنى ان ينطوى « عبد الحكيم » هذا الانطواء ،
وان يكتم عنا خبيثة نفسه .. الا يشق بنا ؟
فقلت :

— ربما كان يرى ان ليس احد منا نظيرا له ، يوليه ثقته .
ماذا نهضنا به من اعمال تدل على الجراة وصدق الجهاد ؟
اما هو ..

— نعلم يا سيدى انه كان بين من تطوعوا فى حرب
« فلسطين » ، وانه ابلى مع الفدائيين فى معركة القناة ..

ولكن اصدقنى بربك : ماذا غنمنا ؟ نكبنا فى « فلسطين »
شر نكبة ، وذهب دم الفدائيين فى معركة القناة هدرا كأنه
بعض ماء القناة ..

— ليست التبعة عليه فى هذه أو تلك .. حسبه أنه ادى
واجبه

— ما جدوى الجهاد وبذل النفس يا سيد « سمرى »
والأيدي التى تدبر واهنة ، والعقول التى توجه غير موفورة ؟
الم تسمع ما كان من امر الجهاد فى القناة ؟ لقد استفحل
الاضطراب ، وتفشيت المذسائس ، واختلط الفدائيون
بالمأجورين والمستغلين ، حتى كاد المجاهدون أنفسهم لا يأمن
بعضهم شر بعض

وعمد رأسه بقبضة يده ، وبدا كاسف الوجه يجمعهم :
— حال لا تسر ..

— والأهداف التى تحدث معنا فى شأنها « عبد الحكيم »
لقد طالبنا بأن يكون لكل منا هدف يعنيه ..
فاجاب وقد اخفى وجهه بين يديه :

— فلندعه أولا يحقق هدفه ، ولننظر ماذا هو صانع ؟
وانصرف « نزهى » عنى بعد قليل ، وقد وعدنى أن
يزورنى فى القريب

الحق انى لم يرقنى ما تحدث به « نزهى » الى ،
واحسست غمامة من اليأس تتعقد حولى ، وحاولت ان انفى
هذا اليأس عن نفسى ، وجعلت افكر فى الهدف الذى يتعين
ان يكون لكل امرىء فى هذا الوطن ، وطال بى التفكير ، فيما

يجب ان يكون لى من هدف ، ولكنى لم اهتم الى قرار .
واعجباه !.. اليس ثمة هدف اسعى الى بلوغه ، تلبى
لنداء الوطن ، وقياماً بالواجب له ؟ يا للعار !.. ايجب
« فلافل » ماسح الاحذية لنفسه هدفاً معيناً يعبر عنه
وانا « يسرى السمرى » ابن « مجاهد السمرى » ذاك
الوطنى الطيب الذكر ، لا اطمئن الى هدف منشود
وملكتنى سعة اجهدتنى الاجهاد كله ، وطاف بى الدو
فأرحت على الوسادة راسى ، وانا اهمهم :
— انه الضعف .. انه المرض .. مأساة حياتى !

- ٥ -

الخامس والعشرون من فبراير سنة ١٩٥٢
ترخصت السلطات فيما كان مفروضاً من حظر السهر
وأصبح التجوال فى الليل غير محوط بتلك القيود العاتية
ولكن ما جدواى من ذلك الترخص والتخفيف ؟ انى موثوق
الى الفراش ، وقد اقسمت لأمى ان اطيعها فيما تأمرنى
به ، وتلزمنى اياه حتى ينزاح عنى ما الاقى من اوصاب
ابطاً عنى « نزهى » لا يعودنى ، وكذلك « عبد الحكيم »
ومن ثم لا اعلم من كوائن الدنيا المحدثه بى الا ما ترصده
الصحف ، وما يلفظه المذيع ، وما اتفه الاخبار الصحفية
والاذاعية فيما ارى .. وانى عن تفاهتها فى غنية وشغل
كانت مسلاتى فى معتكفى ان اخلو الى كنزى الثمين من
اضاميم الصحف والصور ، تلك التى تجلو لى مراحل
جهاد ابى ، وترينى اعماله المجيدة فى خدمة الوطن ، فاعب

من قراءة خطبه ومقالاته واخباره لا يسكن لى ظما ، واتملى
صوره فى شتى مواقفه لا امل ترداد النظر

لماذا لا اتخذ أبى مثلا لى أقفوه واحتذيه ، أغامر فى معترك
السياسة ، أو أعمل فى ميدان الإصلاح ؟ لماذا لا أنظم جماعة ؟
لماذا لا أولف حزبا ؟ لماذا لا أكون زعيما ؟

ووجدتنى من فرط السرور اصيح :

— حقا .. فلأكن زعيما على رأس حزب يجاهد
لاستخلاص البلاد مما يرين عليها من شقوة وبأساء

وبينما أنا فى حمية هذه المناجاة ، اذ أقبل على « نزهى »
ووجهه أقم عابس ، فبادرته مهتاجا أقول :

— لقد عينت لنفسى هدفا لا أعدوه .. لقد قررت
مصرى فى الحياة .. سأهيب بالجماهير ان يتبعونى ، وان
يتخذونى زعيما امضى بهم فى سبيل اعزاز الوطن .. وددت
ان افضى بهذا القرار الحاسم الى « عبد الحكيم »

فقال لى وهو على حاله مكفهر القسمات :

— اتدرى اين مكان « عبد الحكيم » ؟

— لا ادرى ..

— فى المعتقل .. لقد اخذوه بتهمة خطيرة

فماجلنى احساس غريب ، هو مزاج من رهبة وحنق ،
وجعلت ارنو الى « نزهى » لحظة ، ثم قلت مختليج الصوت :
— ما تهمة ؟

— ضبطوا لديه اوراقا واسانيد تكشف خطته لانشاء
معسكر سرى للتدريب

وبعد صمت قصير ، واصل « نزهى » حديثه يقول :
— هذا هدفه .. وذلك مصيره !
ونظر الى فى جد ، وقال فى انزان :
— انصح لك يا « سمرى » ان تخفض من غلوائك فى تفكيرك ،
وان تستانى فيما تعترم من انشاء حزبك !

- ٦ -

اول مارس سنة ١٩٥٢

الفيت الاوامر الموقوتة التى كانت تحظر السهر ، وعادت
الحياة كما كانت .. وعلى الرغم مما كنا نرى من هدوء
ظاهر ، فان السخط عام ، وميض النار يبدو من خلل
الرماد ، الناس يغشاهم خمول ، والجو من حولهم طامس ،
لكأن فيه سحباً ثقلاً تسبح فوق الرؤوس ، ولكنها سحب
لا تنفض ما تختزن من ماء ، ولو اتيح لهذا الماء ان ينهمر ،
لانتشعت على اثره الفيوم الثقال ، واسفرت عن صحو
واشراق

بارحت فراشى ، وانا اشعر ببعض التماثل ، ولكنى فى
الحق اغالب واجالد ، فما عاودتنى العافية موفورة ، وانى
لا اكاد انطلق شيئاً حتى اجدنى مضطراً ان اخلد الى فراشى
يوماً او بعض يوم

لم تعد لى طاقة بالتزام اوامر الطبيب ، ولذلك ثارت
امى على ، ونشبت بيننا الخصومة ، فكنت تارة اهادن
وتارة اتحدى

ولقد استؤنفت الدراسة في كليات « الجامعة » ، فلم
اكن اذهب الى كليتي الا لما .. ليس الى الدراسة
جلد ، ولا انا بها مشغوف ، اعترف بذلك جهرة ، بل اقول
اني ابلغ في ذلك حد الكره .. بنفسى ملالة من كل شيء

غابت عني انباء « عبد الحكيم » ، اما « نزهى » فكان
بزورنى في الحين بعد الحين ، فتمضى الى الطريق نتسكع
ونتناقل لغو الحديث ، وربما عدلنا الى بعض المشارب
نستريح ، فنقضى ساعة نثاءب ، واذا عز الثاؤب على
« نزهى » اخرج كراسته وقلمه وطفق يرسم ، ثم لا يعتم
ان يمزق ما خطت يده !

وساقنى « نزهى » مرات الى مقاصف الليل ومساهره ،
يبغى بذلك ان يتصيد المواقف المثيرة ، والشخصيات
الطريفة ، ليجعل منها مادة لفته ، واذا هي على قلمه رسوم
ويوما قلت له :

— لماذا لم تلق بالا الى ما نصحك به « عبد الحكيم » حين
اوصاك بان تتخير لرسومك مشاهد جد ، وان يكون لك
من ورائها هدف رفيع ؟
فاجابنى ، متلاعبا بقلمه :

— لقد حاولت ، فلما عرضت نماذجى في هذا السبيل
على الصحف التى اعمل بها لم تقع موقع القبول ، ان القائمين
على هذه الصحف يؤثرون المغريات ، ويتقاضوننى ان اقدم
لهم ما يصلح للتسلية والتفكيه والابهاج .. طوعا لاهواء
القراء !

وسرح ببصره لحظة ، ثم مال على اذنى يهمس :
- لقد اتممت رسما عظيما ازمع تقديمه فى احد المعارض ،
فان عز على ان اعرضه فى « مصر » فسامعل على عرضه
فى « اوروبا » ..
- فى « اوروبا » ؟ ..

- ولم لا ؟ لو كان « عبد الحكيم » غير معتقل ، ورأى
هذا الرسم ، لرقص طربا ..
وشرع يقلب صحائف كراسته ، ثم اشار الى رسم فيها
وهو يقول :

- ذلك نموذج مصغر للوح الفنى الذى اعددتة .. انه
تخطيط ينقل اليك الفكرة .. انك لا تشهد اول وهلة الا
رسم مدفع كبير مصوب الى قلعة عابسة متجهمه .. ولكن
دقق النظر فى رسم المدفع .. الا تستبين شيئا ؟!
وتفرست فى الرسم ، فاذا انا ارى اجزاء المدفع تكشف
عن صور جنود من شباب الوطن يتجلى فيهم حماس
ومكثت مليا ارنو الى الرسم ، وأنا معجب بما يرمز اليه .
ثم امسكت بيد « نزهى » اهزها قائلا له :
- مرحى .. مرحى .. انه رسم فريد .. اهنتك !

- ٧ -

اول ابريل سنة ١٩٥٢
طاب لى مع صاحبى « نزهى » هذا اللون من الحياة
حياة التبطل والسهو . ارجع الى البيت فى اعقاب الليل ،

فتلقاني أمي باللوم والتعنيف ، ولكنى كنت لا أعبأ بقولها
ولا أصيخ ، فإذا لجبت في ملامها اغلظت لها في الرد ، واسكتها
بكل سبيل ..

ولم تكن نكتفى - أنا و « نزهى » - بالمقاصف والمساخر ،
ندلج اليها أكثر الليل ، بل أخذنا نرتاد الحدائق العامة في
الضحوات والأصائل ، يلد لنا أن نتعقب الفتيات في مغدى
ومراج ، فنغازل منهن من نانس فيهن الملاينة ، ونجد في
ذلك متعة وسلوى

واهتدينا الى فتيات ثلاث ، لكل منهن ميزة ، الأولى
بادنة مكشزة ، والثانية شقراء واضحة الشقرة ، والثالثة الأخرى
سمراء شديدة السمرة ، وقد اصطفين دكة خاصة في حديقة
النهر ، على طرف الجزيرة ، فهن يجلسن عليها ساعة في
عصر كل يوم ، لا يتخلفن ، ولا يتفرقن ..

وأخذنا أنفسنا بأن نجوز بهن مرة بعد مرة ، وأن نخالسنهن
نظرة بعد نظرة ، ثم مددنا شباك الحديث اليهن ، فأصمن
أسماعهن ، ولم تلح لنا منهن بارقة ارتياح

وعلى مر الأيام تم بيننا وبين الصواحب الثلاث تعارف ،
ولكنه تعارف صامت عقيم ، فإذا نحن بدونا حيالهن لم
يستطعن مغالبة الابتسام ، ومال بعضهن على بعض يتهاوسن
في رفق ، ثم اصطنعن الجد ، واستأنفن ما كان يدور بينهن
من حوار .

ومرة أخذنا مجالسنا في ظل شجرة ضخمة تقوم عن
كثب من الدكة المعهودة ، وبقينا نرقب هؤلاء الأوانس ،

وأخرج « نزهى » كراسته ، وشرع يجرى قلمه على الورق
ونظراته تشخص الى ثلاثهن أنا بعد آن .. وشعرن بأن
صاحبى لا بد يرسم صورهن ، فوضحت عليهن مخايل
الاهتياج

ولما اكمل « نزهى » رسمه ارانى اياه ، وهو يتضحك
ويقول :

— ما قولك فيما ترى ؟

فما وقع بصرى على الرسم حتى صحت مشدوها :

— رائع .. ولكن ..

فتعجلنى يقول فى صوت عال :

— ماذا ؟

فاستدركت اقول :

— لا شئ !

لقد كان الرسم يمثل سرب الفتيات فى غلازل شفافة ،
فهن يتجلين كأنهن عاريات .. ولبشنا نتناقل الرسم ،
ونتبادل الضحك ، وبدت على الفتيات ملامح الاستطلاع
والقلق ، وشاهدنا الفتاة البادنة تخطو نحونا ، فعرانا صمت ،
وما ان دانتنا حتى مدت يدها الى « نزهى » تقول :

— هل تاذن لى فى ان ارى الرسم ؟

فاستجاب لها الصديق ، ودفع اليها بالورقة ، وعلى
شفتيه بسمة ، فما القت على الرسم نظرة حتى انطلق
لسانها بالشتم والسباب ، وهرعت اليها صاحبتاها تشتركان
معهما فى التصايح والاستنكار .. ثم امسكن قليلا تتجمع

انظراهن على الرسم يتوسمنه ، وبفته علت ضحكاتهن
مصلصلة ، وهن يشرن بالانامل الى الورقة فى احتياج . وما
هى الا ان تراحمن وتدافعن ، تبغى كل منهن ان تكون فى
حوزتها الورقة ، فاقبل عليهن « نزهى » يفض بينهن هذا
النزاع وهو يقول :

— على رسلكن .. سارسم كلا منكن على حدة !

وارتفعت اصواتهن دفعة يقلن :

— حقا ؟!

ولكنهن استدركن ، وأشحن عن الورقة بوجوههن ،
وكانت اجراهن الفتاة الباذنة ، اذ استبقت الرسم فى يدها ،
وواجهت « نزهى » تقول له :

— الا تعترف بأنك قليل الحياء ؟

— اعترف .. انعتينى بكل ما تهوين من نعوت ، ولكنى

مستطيع ان اثبت لك دائما حسن نيتى ..

وتدخلت اقول :

— اقدم لكن صديقى « نزهى » الفنان المشهور ..

صاحب الرسوم الساخرة التى تزين الصحف والمجلات

فقالت البدينة ويدها فى خصرها :

— لم نحظ بأى شرف يا سيدى !

فسارعت الشقراء والسمرء تتضحكان

وقال « نزهى » :

— مادمت يا سيدتى لم تحظى بأى شرف ، فهاتى الرسم

فاجابته كاسرة العين :

— ان هذا الرسم اصبح من حقنا نحن ، وخاصة لانك
اظهرتنا في هذا الوضع الشائن ..

فوجدتني اقول :

— اقترح تمزيق الورقة ، انهاء للاشكال ..
فقالت البدينة :

— حقا يجب ان تمزق الورقة ، وسأتولى انا تمزيقها
بنفسي !

وامسكت بالرسم ، كأنها تهم ان تفعل ، والفيت السمراء
والشقراء تنظران اليها في انزعاج ، واذا انا ارى الانسة
البادنة تطوى الورقة في ترتيب ، وتودعها حقيبة يدها في
عناية ..

فصحت :

— حسنا فعلت

واضفت قائلا :

— هل تسمحن يا آنساتي ان اقدم لكن شيئا من المرطبات
للترفيه !

فتبعني « نزهى » يقول على الاثر وهو يهز كتفي :

— وكيف لا يسمحن ؟ هيا يا « سمري » .. مكان البائع
قريب

والتفت الى الفتيات يقول :

— اقدم لكن صديقي « يسرى السمري » فتي ظريف ،
حاز البطولة في الامتناع عن الدراسة بكلية الحقوق ، ولكنه
فنان يجيد تقديم المرطبات ، وله في اختيارها ذوق رفيع

ولم يطل غيابي . فعدت محملا بزجاجات الأشربة الفوارة
مختلفة الألوان ، ووجدت « نزهى » مشتبكا مع الاوانس
فى الحديث ، وقد ارتفعت بينه وبينهن الكلفة ، كأنه يعرفهن
من قديم

وصفت الزجاجات على الدكة ، ووجهت حديثى الى
الثلاث الأنسات أقول :

- اليس من حقى أن اشرف بالأسماء الكريمة ؟
وماكدت أفرغ من جملتى ، حتى سبق « نزهى » يقول :
- فاتنى أن أقوم بتعريف صديقتى لك يا « سمرى »
وأشار الى البدينة يقول :

- الأنسة « ولعة »

ثم أشار الى الشقراء ، وقال :

- وهذه « فلة »

وأردف قوله مشيرا الى السمراء :

- وتلك « سمسة »

ورائتنى تنعقد عينى بالأنسة الشقراء « فلة » أتملى
صفاء محياها الوديع ، فأنبهنى « نزهى » الى توزيع الزجاجات
على الجمع ، فبدأت بالشقراء ، وعنيت بأن أنزع لها سداد
الزجاجة ، وان امسح مكان السداد بمندبلى الخاص ،
فأولتنى ابتسامة متلطفة ، وأسبلت جفניה تقول :

- شكرا لك ...

ففمرتنى البهجة ، وأنا اعقب بقولى :

- بل الشكر لك على القبول

ثم مددت يدى الى الأنسة البادنة « ولعة » باحدى

الزجاجات ، وفاتنى أن أنزع سدادهما ، فاستدركت أفعل ،
فأسرع « نزهى » يأخذ منى الفتاحة ، ويتولى ذلك عنى ،
ورأيته يخرج منديله ، ويمسح مكان السداد من الزجاجات ،
كما صنعت ، فأشرق له وجه صاحبتة ، وقالت وهى
تخفض بصرها :

— اتعبت نفسك .. شكرا لك !

والفيتنى أجاذب « فلة » الحديث ، أتصيده من هنا
وهناك : الحديقة هادئة ... الجو لطيف ... السماء
رائقة !

وامتدت يد سمراء بالغة الدكنة الى الزجاجات المصفوفة
تجذب منها واحدة ، وإذا هى يد « سمسة » ، فقلت
أتصنع الدهشة :

— لاتؤاخذينى يا آنستى ... سهوت عنك

ورجوت منها أن تناولنى الزجاجات ، لانزع منها السداد ،
فقال فى حدة تحاول اخفاءها :

— لا ... أنا شاكرة !

فبسطت لها يدي بالفتاحة ، فقالت فى اهمال :

— لا حاجة لى بها ...

وسرعان ما أسندت الفتاة طرف السداد الى حرف الدكة
وضربت بيدها على السداد فأطاحت به ، وجعلت تصب
الشراب فى حلقتها صبا ، وما لبثت أن قذفت بالزجاجات وهى
تضحك فى احتياج . فصاح « نزهى » :

— مرحى ... مرحى ... لم اكن أدري أن الانسة
« سمسة » احدى بطلات السرعة فى شرب القازوزة ،

سيكون لك شأن بلا ريب في المباريات العالمية القادمة . . .
أعترمة أنت الاشتراك فيها ؟
فقههت تجيب :

— ولم لا ؟ ومن يشترك فيها اذا أنا لم اشترك ؟
فقلت الفتاة الباذنة « ولعة » :

— انها تقوم بالتمرينات منذ الآن !

والفينا « سمسة » تعجل الى زجاجة اخرى ، فتحذو
بها ذلك الحذو ، تنزع بيدها السداد ، وتعب الشراب دفعة
وتلقى بالزجاجة في عنف ، فتصايحنا متهللين ، وملت عليها
ارفع ذراعها واقول :

— كسبت الجولة الاولى في مباراة اليوم

ونحا « نزهى » نحوها بقطعة من ورق كورها على شكل
كأس ، وانحنى امامها يقدمها لها ويقول :
— يسرنى أن أقدم لك الكأس الفضية ، اعترافا بفوزك !
فاشتركنا جميعا في تصفيق حاد

وانبسطت اسارير « سمسة » ، وزال عنها ماكان
يعروها من ضيق ، وما هي الا ان اقبلت علينا بوجهها تسرد
قصص بطولتها في احتساء الاشربة ، وذكرت انها تناولت
في جلسة واحدة عشرا من فنجانات القهوة ، وعشرة من
اكواب الليمون ، ومثلها من اقداح السحلب الساخن
وتركت « سمسة » تقص مغامراتها في هذا المضمار
وانصرفت الى الشقراء « فلة » اجاذبها اطراف الحديث ،
ولكنى لم استطع ان اجاوز بها حديث الحديقة الهادئة ، والجو
اللطيف ، والسماء الصاحية . وأخيرا وجدتني أقول :

— لست أدري لماذا احس اليوم بأن الحديقة كلها يضرب
منها عطر « الفل » ذلك العطر المنعش اللطيف !
فتصاحكت « فلة » تسأل :

— ومن أين جاءها عطر الفل يا ترى ؟
— حقا ... من أين ؟

وابتسمت وأنا اداعب اناملها ، ثم اتممت قولي :

— فلنبحث أنا وانت عن ذلك السر ...

وبينما نحن نلتقط مناسبات الاحاديث البهيجة ، روعنا
فرقعة على مقربة ، فالتفتنا نبتين ، فوجدنا « سمسمة »
قد اطاحت برقبتى زجاجتين من زجاجات الاشربة الفوار
وصاحت :

— في حب السادة العشاق !

وراحت تشتف الزجاجتين واحدة تلو الاخرى ، ورمتهما
بعيدا كشأنها من قبل ، ولاحظت ساعتئذ ان « نزهى »
قد انتحى بصاحبته « ولعة » غير بعيد ، كما انتحيت ا
بصاحبتي « فلة » ، وصفقنا جميعا نحى صنيع « سمسمة »
ولكنها لم تأنس بتصفيقنا ، بل قالت في احتداد :

— ماذا انتم منتظرون ؟ الا تخشون ان يلمحكم حارس
الحديقة وقد جاوزتم الحد ؟ اتريدون ان نخرج مطرودين
كفى يا جماعة .. العقل زينة !
وتواعدنا على لقاء قريب

— ٨ —

آخر ابريل سنة ١٩٥٢
ترادفت ملاقاتنا للثلاث الاوانس في ايام معلومة من كل

اسبوع ، والفت صحبة « فلة » ، فبادلتني الفة بالفة ، حتى استأثرت بها واستأثرت بي ، وكذلك كان شأن « نزهى » و « ولعة » مؤتلفين يستأثر كل منهما بصاحبه

اما « سمسمة » فقد انتهى بها السخط الكظيم والاهتياج البادى الى لون من الاستسلام والرضا بما هو مقسوم ... كانت تختلف الى الحديقة مع « فلة » و « ولعة » فى كل لقية ، وترافقنا الى كل جهة ، فتقاسمنا مانحن فيه من امتاع ، وقد اطمأنا الى مكانها منا على هذا النحو ، وانسنا بما تشيعه بيننا من روح البهجة ، ووجدنا بها وسيلة الى الانطلاق حيناً بعد حين من حرج الجلسات الشائبة الخاصة ، والاندماج فى جلسات عامة مشتركة ، ننفى بها ماعسى ان يكون من سامة وملال

على ان جلساتنا العامة لم تكن تخلو من بعض تصرفات جريئة ، بينى وبين « فلة » ، اوبين « نزهى » و « ولعة » فكانت « سمسمة » تفض الطرف عنها تارة ، وتتصدى لنا تنهانا ان نتمادى فيها تارة اخرى

والفيتنى اتجاسر على مداعبة « فلة » واتعمق ، فتعلمت هى منى ان تكون جريئة معى ، واستطعت ان اخرجها مما كانت عليه من زماتة وتحفظ ، ووجدتنى اطرب لذلك طرباً لم يكن لى بمثله عهد ، ولكن هذا الطرب والارتياح كان ينقلب عندى احيانا الى سهوم وانقباض ، حين اراجع نفسى ، الومها على ماكان منى !

وعلى مر الايام تيسر لنا ان نغرى الفتيات الثلاث بأن

يطلن معنا الجلوس والتنقل ، وإن يمتد لقاءنا لهن هزيعا
من الليل ، وكنا نعينهن على صوغ الاكاذيب ، يسوغن بها
ذلك السهر لاهلهن ، فيتزودن بها حين يرجعن الى بيوتهن
مبطنات

وذات ليلة ، ودعنا الفتيات الثلاث على وعد باللقاء
في يوم آت ، ومضيت أنا و « نزهى » نواصل سهرتنا
متسكمين في الطرقات والمسالك ، والقيت نظرة على ساعة
يدى ، فدهشت وقلت لصاحبى :

— أندرى كم الساعة الآن ؟

— كم ؟

— الثانية عشرة

— ماذا تعنى ؟

— هذا منتصف الليل !

— وماذا فى هذا ؟ .. بقى النصف الآخر ؟!

— لقد احتجزنا الفتيات الى هذا الوقت المتأخر ، كيف

يكون موقف أسرهن منهن ؟

— فليكن ما يكون !

— ايليق بنا أن نخرج هؤلاء الفتيات ، وأن نرج بهن فى

المآزق ؟

— لقد رضين بصحبتنا ، فيلتحايِلن على ذويهن ما استطعن

اننا لم نرغمهن على أن يسايرننا .. دعك يا صديقى من

هذه الوساوس !

فصمت هنيهة ، وأنا اخفض راسى ، انظر الى موطئ

قدمى ، ثم شخصت الى « نزهى » أقول له :

— يبدو أننا تغالينا في صحبة هؤلاء الفتيات ، وأشعر
بأن علينا التبعة في اغرائهن بأن يسلكن طريقا غير سوى ..
فتضحك صاحبي يقول :

— طريق غير سوى ؟ .. انك تهذى .. هل جرى منا
ما يسيء اليهن ، أو يشين سمعتهن ؟
— لقد تعلمن منا أن يكرعن أقداح الجمعة ..
— انها شراب مفيد .. ولا يستنكر من الفتيات أن يتعاطينها
في غير سرف ...

وهنا أخرج من جيبه زجاجة ، ولوح بها متضاجكا
يقول :

— أما هذا « البراندى » فحرام على الفتيات !
وتقر الزجاجة بأصابعه ، وهو يردف :
— في صحتك !

وجرع جرعة وافية ، ثم قال وهو يمد الزجاجة الى :
— هل لك في رشفة ؟
فنهيت يده عني ، وأنا أقول :

— الطبيب يحظر على أن أشرب « البراندى » ...
— حسنا ... يجب أن تدعن لرأى طبيبك !
وخطونا بضع خطوات ، وإذا أنا أقول لصاحبي :
— اسمع يا « نزهى » ... أخشى أن يقع للفتيات منا
ما نكره ...

— ما زلت تتحدث في شأنهن ؟ !

— نعم .. أعترف لك بأن موقفى لم يكن رزينا مع
« فلة » بعد أن تساقينا أقداح الجمعة ..

— حين اختليت بها فترة قصيرة ؟

— نعم ...

— ماذا صنعت يا بطل ؟

— تبادلنا القبلات في نشوة ، وتعانقنا في حمية ..

فصلصلت ضحكة « نزهى » وهو يقول :

— الليلة اول مرة ... لقد سبقتك الى ذلك مع « ولعة »

منذ أسابيع !

— وماذا بعد التقبيل والعناق ؟ يجب وضع حد لهذا

العبت ، ان « فلة » و « ولعة » تعدان نفسيهما مخطوبتين

لى ولك ...

— لكل منهما أن تعد نفسها كما تشاء ، ولكننا لا نعد

نفسينا مخطوبين لهما ..

— الا يكون هذا تصرفا غير كريم .. غير نبيل ... غير

شريف !

فكرع « نزهى » من زجاجة « البراندى » واخذ بيدي

يضغطها بشدة ، وقال :

— حسبك .. حسبك .. لا تلفظ بكلمات الكرامة

والشرف والنبل يا صديقى العزيز

ورفع عقيرته بقوله :

— أتريد أن نكون انا وانت وحدنا نبيلين شريفيين كريمين

نتصرف فى حدود اللائق ... ألسنت ترى الدنيا من حولنا

كيف تجرى فيها الامور ؟ ألسنت ترى فى أى جو نعيش ؟

وصب فى فمه جرعة ثالثة ، فاجتذبت الزجاجة من يده

وصحت به :

— لقد افطمت في الشرب ... وكفى !
— لماذا تمنعني ان اشرب ؟ الا تحفظ القولة الماثورة :
« اليوم خمر » ؟!

— وهل نسيت تكملة الجملة : « ... وغدا امر » ؟!
فحملق « نزهى » في وجهى مليا ، وهو يرسل ضحكات
متشعبة ، وقال :

— هذا خطأ ... ليس هناك امر ... اليوم خمر ، وغدا
خمر ... وبعد غد يلتقما القبر .. انه ينتظرنى وينتظرك
... القبر يا حبيبى « سمرى » ... الحقيقة العظمى في
الحياة ، والنهائة الخالدة لكل حى ... وما عداه هراء !
— ولكن يا « نزهى » لا تنس أن للحياة اهدافا ...
انضيمها ؟!

فوقف « نزهى » باسطا لى ذراعيه ، فاغرا فاه ، وقال :
— حقا ... ذكرتنى ... نسيت الاهداف ... اين
الاهداف ؟ .. فلتحى الاهداف !

وهجم على ينتزع الزجاجاة منى ، وهو يردد :
— اين الاهداف ؟ نسيت الاهداف ... فلتحى الاهداف !
فوجدتنى ارفع الزجاجاة الى فمى ، اروييه بجرعة ، ثم
اسلمت الزجاجاة اليه ، وجلسنا على الطوار فى ركن من الطريق
نتساقى ونتضحك ، وشعرت برأسى يدور ، وبصرى يزيغ
وماهى الا ان رايت « نزهى » وقد عرته جهامة ، واستغرق
فى صمت ... وبفتة سمعته ينشج ، فجعلت ارقبه فى قلق
فاذا نشيجه يزداد ، فطفقت امسح على رأسه الاطفه ،
واقول له :

— خفف عنك ! فيم تنشج ؟

فارتفع نحيبه ، وقال :

— هل تعلم انى فقدت اللوح الفنى العظيم الذى رسمته :
« المدفع » ؟ .. فقدته الى الابد ... لقد مزقته شر
ممزق ، فى ساعة يأس مرير ... لقد كان لى هدف عينته
لنفسى ، هو ان اقيم معرضا فى « روما » ، وأن يكون هذا
اللوحة عروسا فيه ... اما الآن فلا معرض ... ولا عروس
... ولا هدف !

— ٩ —

الخامس والعشرون من مايو سنة ١٩٥٢

يا للسهرة الماضية التى شربت فيها « البراندى » حتى
ثملت .. لقد كلفتنى ثمنا غاليا ... لقد ألزمتنى السرير
أياما متوالية ، وجددت لى نوبات السعال ، وتركتنى انفث
الدم عودا على بدء ... فاستبان فى الهزال ، وازددت
ضعفا على ضعف ... وما ان استشعرت بعض العافية ،
حتى ثرت على رقادى الممل ، وغادرت البيت ، غير مكترث
بالحاح أُمى على أن اظل رهين الفراش ...

عدت استمرىء حياة التصعلك والشروء ، اخرج أياما
وتقصرنى العلة على الاعتكاف بعض حين ... ورايتنى
مستخفا بشأتى كله ، لا أجد فى الدراسة الا عبثا من العبث
فاذا ضمتنى الكلية شعرت بانى سجين ، وكان يشركنى
فى هذا الشعور كثير من الطلاب ، نلتقى فى أرجاء « الجامعة »
حلقات ، فنسير مخفوضى الرعوس ، نتداول الاخبار ،

ونتطارح الاحاديث في همس ، وعلى وجوهنا سخط
واكتئاب . وكنا نحس بأن الايام مقبلة بنا على امر جسيم
لا نكتنه مداه ، ولا نعرف عقباه ...

أما صاحبنا « عبد الحكيم » ، فقد احتجب عنا شأنه ،
فكانه أصبح في عداد الموتى ، لا نذكره الا كما نذكر الراحلين
الذين غيبتهم أطباق الثرى ، ولم يعد لهم في حياتنا حساب
... وأما صلتى أنا ورفيقى « نزهى » بالفتيات الثلاث
فقد كانت تتوثق يوما بعد يوم ، تتلاقى في حرية ، ولا نخشى
من رقيب !

ويوما ، والشمس مؤذنة بغيوب ، مضيت أجزر الخطأ
أنا و « نزهى » ، في « شارع سليمان باشا » ، لغير قصد ،
والى غير وجهة ، وكانت حافظة نقودى منفضة ، وكذلك
كان « نزهى » فى افلاس ، وكنا على شر حال من التافف
والبرم ، نسب الارض ومن عليها ، ولا يروقنا مما حولنا
شئ ... وجنحت الى « نزهى » أقول :

- أتراك نسيت موعد الثلاث الاوانس ؟

- لست ناسيه فلنخلفه !

- كيف !

- واعجبا لك يا « سمرى » !... السننا مفلسين ؟

انذهب للقاء الفتيات وقد خلت من النقود يدى ويدك ؟

- علينا أن ندبر الامر ...

- لا حيلة لنا الا السرقة ..

- السرقة ؟ حقا ... فلنكن لصين فى سبيل الحب

والفرام !

و فرطت منا ضحكات بشعة ، مالبثت ان اسلمتنا الى
صمت ثقيل ، ولما بلغنا غاية الطريق عند « شارع فؤاد »
عدنا ادراجنا ونحن على صمتنا في وجوم ، ولما احتوا
« ميدان سليمان باشا » الفيت « نزهى » يحيد الى
« شارع قصر النيل » المفضى الى « ميدان الاسماعيلية »
فقلت من فورى :

— الى اين انت ماض بى ؟

— لا شىء الا ان نبذل الطريق ، تجديدنا للمناظر ...

كفاله التردد فى شارع واحد ؟

— والموعد يا « نزهى » ؟

فصاح غاضبا :

— اى موعد ؟ ألم اقل لك انه لا سبيل الى لقاء الفتيات ،
وكلانا مفلس ؟!

فاجبته مفضبا مثله :

— عار علينا اخلاف الموعد ... هذا بجانب المروءة ..

يجب ان ندبر الامر

— فليكن تدبير الامر اليك يا صاحب المروءات !

ومررنا « بنادى السيارات الملكى » ، وكنت اسمع من
شأنه الكثير ، وأعلم انه مثابة السراة والكبراء والحكام ،
يمارسون فيه افانين المتع ، ويستمرئون الوان الملذات ،
فألقيت عليه نظرة المغيظ ، وقلت لصاحبى :

— هنا يأكلون اشهى الاطعمة ، ويكرعون افخر الشراب ،

ويحيون الليالى الملاح فى اللهو المباح وغير المباح ...

فقاطعتنى « نزهى » يستكمل ما أتكلم فيه ، فقال :

— ولا تسلية لهم الا بذل النقود .. يلعبون بها على المائدة
الخضراء ، كأنهم لا يجدون للمال مصرفا الا في المعابث !
— وهذا على حين ان امثالنا لا يجدون فضلا من المال
تنقذهم مما يتورطون فيه ، وتحفظ عليهم ماء الوجوه ،
وتعينهم على الوفاء بالعهود والمواعيد !

وجاوزنا النادى ، يسبح فى للاء باهر ، ببابه الخدم
والحجاب فى حلل مزركشة ثمينة ، وعلى طريقه صفوف
متراصة من السيارات الفارهة الانيقة ، ولاحظت ان
« نزهى » يتعهد تلك السيارات بنظرات الاعجاب ، ورايته
يقف بفتة امام احداها يتفرج ويتفحص ، وكانت فى ركن
محتجب عن الاضواء ، وجعل يهمهم :

— اليست هذه سيارة صديقك « شكرى » رفيقك فى
« الجامعة » ؟

— حقا ... انها هى ... سيارة رشيقة !

— صديقك « شكرى » شاب سعيد الحظ ...

فقلت له وهو يدور ببصره حول السيارة فى شغف :

— انه سعيد الحظ فى كل شئ ... حسبه انه بهذه

السيارة يستطيع ان يجمع صباح كل يوم من « ميدان

العتبة » سربا من اترابه الاوانس طالبات « الجامعة » ،

فيذهب بهن الى « الكلية »

— عرفت منك هذا الحديث .. ما لطفها مهمة ...

مرافقة الطالبات الى « الجامعة » فى سيارة خاصة !

— انه يعتز بهذه المهمة ويفخر ..

— ما اسخفه !

— وما أشد رقاعته !

وتابعنا سيرنا ، ننت « شكرى » بالفاظ ترادف الرقاعة والسخف ، ثم أمعن « نزهى » فى صمت ، وإذا هو يقف بى ونحن فى « ميدان الاسماعيلية » ويأخذ بذراعى لنعود فقلت :

— الى اين ؟

— نرجع من حيث اتينا ... الى « شارع قصر النيل » ... السنا نتسكع ؟ افى ذهنك وجهة سير ؟ ان كانت لديك فأخبرنى !

— وجهتى باب حديقة النهر ... الا تذكر ؟ لقد حل الموعد ، والفتيات الثلاث هنالك ينتظرن فتضحك « نزهى » ، ولم يفضب من هذا الحديث كما غضب من قبل ، ومسح على كتفى يقول :

— فلينتظرن ... ما أسوأ حظهن ، اذ أوقعتهن المقادير فى صديقين ليسا من طراز « شكرى » الذى يملك سيارة رشيقة ، وفى مستطاعه ان يمضى بهن فيها للنزهة ، كما شئن وشاء !

وسرنا نتمهل ، غير بعيد من « نادى السيارات الملكى » وواجهتنا السيارات المصفوفة على جانبى الطريق ، فأخذنا نحقق ونتفرج ، ولما دنونا من سيارة صديقى « شكرى » خفف « نزهى » من خطوه ، ودار بنظره حوله ، ثم أمسك بذراعى يميل بى نحو السيارة ، وما ان حاذيناها حتى أسرع « نزهى » يفتح بابها دون تكلف ، كأنها سيارته ، وقبل ان انطق بكلمة ، دفعنى الى الدخول ، واحتل هو

مكان القيادة ، وسرعان ما تحركت السيارة ، وقد ألجمت
الحيرة والدهشة لساني ...

وفي خطفة البرق كنا في « ميدان الاسماعيليه » بجوار
مبنى الشكنات ، فقلت :

— ما هذا يا « نزهى » ؟

فأسكتنى يقول :

— يجب أولا أن نعبر جسر « قصر النيل » ...

وطوت السيارة بنا الجسر ، والافكار المهوشة تتناوح
في رأسى ، وفي « شارع الجزيرة » عن كثب من حديقة النهر
وقفت السيارة بمنأى عن الاضواء ، وقفز منها « نزهى »
يقول :

— مكانك ... سأعود اليك بعد قليل ..

ولبثت في مجلسى ، أشعر بشيء من الذعر ، وأكثر التلفت
حوالى ، حتى تراءت لى أشباح أربعة ، صافحت سمعى من
جانبها اصوات معهودة لى ، وشاهدت « نزهى » يفتح باب
السيارة ، والفتيات معه يتواهبن داخلات فى تصايح بهيج
فقال لهن صاحبى :

— على رسلكن يا آنساتى العزيزات ، التصايح ممنوع
بأمر صاحب السيارة « يسرى السمرى بك » !

وجابهتنى « فلة » تقول :

— احقا يا صاحب العزة انك أصدرت امرك بمنع التصايح ؟

وأردت الكلام ، فكنت أنتزع النطق من حلق أدركه
الجفاف ، والفيتنى اقول دون ان استطيع استدراك نفسى :

— يجب أن يشملنا الهدوء ، حتى نبرح منطقة الخطر

ودقت « ولعة » صدرها بيدها تقول :

— خطر ؟ بعد الشر ... أى خطر ؟

وانتظمتنا مجالس السيارة ، على هذا الترتيب : « نزهى »
في مكان القيادة ، لانه كان خبيراً بقيادة السيارات دونى .
وبجواره جلست صديقته البادنة « ولعة » تحشر أوصالها
حشراً . أما أنا فكانت على أريكة الخلف في الوسط ، عن
يمينى « سمسمة » السمراء ، وعن يسارى صاحبتى « فلة »
الشقراء ، وما ان استقر المقام « بفلة » حتى تحسست يدي
واطبقت عليها تضغطها في تشوق ، فطوقت خصرها بذراعى
وأنا صامت مأخوذ

وسلكت السيارة سبيلها الى « شارع الاهرام » ، وفي
بعض الطريق لوت « ولعة » عنقها الى تقول :

— لم تكن نعرف ان لك سيارة .. متى اشتريتها ؟

فلم أجد بدا من ان اقول :

— منذ وقت قريب ...

فصاح « نزهى » وهو يزيد سرعة السير ، فتمرق بنا
السيارة مروق السهم :

— انها لقطة ... اشتراها من رفيق له معسور ...
مفلس !

فقالت السمراء :

— مفلس ؟ العياذ بالله ... اللهم حوالينا ولا علينا ...

أنا لا احب المفلسين ، ولا سيرة المفلسين !

فقال « نزهى » :

— وأنا أيضا يا آنستى اكروه الافلاس واهل الافلاس .

وهمست « فلة » فى اذنى تسال :

— احقا هذه سيارتك ؟

فارتج على ، ولم أحر من جواب ، واذا الانسة « ولعة » تقول :

— لا سر بيننا ... يجب ان نتبادل الحديث فى صوت مسموع

فأسرعت « فلة » تقول :

— ليس ثمة سر ... كنت أسال « السمرى » ان يصارحنى اهو صاحب السيارة حقا ؟

فرئت ضحكة « ولعة » وهى تقول :

— ليست سيارته .. انها سيارة والدته ... هى التى دفعت الثمن ، وليس من حقه ان يتصرف فى شىء لا يملكه ... لعله خرج بالسيارة دون اذن والدته ... لن تتكرر هذه المرة يا آنستى « فلة » ... خير لك ان تحدى من طموحك يا عزيزتى !

فبهتت « فلة » وعقبت بقولها :

— ماذا تعنين يا « ولعة » ؟ اى طموح ؟ لم اقصد من ذلك الى شىء !

فرفع « نزهى » صوته يقول ، وهو يضرب بيده عجلة القيادة :

— هدوءا ... ليس هذا وقت مناكفة وتهاتر ...

ثم التفت الى « ولعة » يقول :

— لو ان « السمرى » اهدى سيارته تلك الى « فلة »

لا قدر الله ، لبادرت بشراء سيارة نقل من اجلك يا « ولعة »

... لاتسعدك الا سيارة نقل !

فقلت وقد أخرجت من حلقها نبرات نسوية ساخرة :
— سيارة نقل ... ؟ لى انا ... ؟ اما افخر سيارة من احدث
طراز واما لا ...

فقلت « سمسمة » وهى تتمصص شفيتها فى تمثيل
هزلى :

— يا حصرة على ... ليس لى أحد يهدى الى شيئا ،
لا سيارة ، ولا عربة كارة ..

فقلت على الفور دون تفكير :
— يجب الا ندع « سمسمة » دون صديق تأنس اليه
.. لابد من البحث عنه ...

فصرخت « سمسمة » مهتاجة :
— تبحث لى عن صديق ؟ ليكن فى علمك يا حبيبى انى
لو أردت لتراعى على الكثير من السادة والكبراء ...
فقال « نزهى » :

— صحيح ماتقولين .. ولكن الى ان يحين لك اصطيد
هؤلاء الكبراء والسادة ، ساطوع انا مبادرا اليك ... فهل
تقبلين صداقتى يا آنستى المليحة ؟
فتبعته « ولعة » تقول له :

— صداقتك انت ؟ وماذا يكون شأنى معك اذن ؟
— لاجديد فى الامر .. ساعد نفسى بينكما معا قاسما
مشتركا اعظم ...

وئارت « ولعة » يمد جسمانها المتكتل الضخم ، وحطت
على « نزهى » تكيل له اللكمات ، وهى تقول :
— خذ نصيبك اذن ايها القاسم المشترك الانحس !

واختلت عجلة القيادة في يده ، وسمعنا صوته المخنوق
ينشد الفوثن ، وشعرنا بالسيارة تترنج ، وكادت تصدمها
أحدى الأشجار على حاشية الطريق ، فنهضت أنا و « فلة »
و « سمسة » نحول مابين المتنازعين ، ونفض ما بينهما من
خلاف

وظفقت السيارة تنهب الطريق ، كأنها تبارى الريح ،
وانطلقت أصواتنا بالغناء ، وتطارحنا النكات والأفاكيه ،
لنشيع جو الانس والمراح ، وكانت نكاتنا محتشمة متحفظة
باديء بدء ، ثم انقلبت متبذلة فاحشة تنتزع منا الضحكات
بلا حساب ، وتحدونا على أن نتغامز ونتقافز ويدغدغ بعضنا
بعضا في جراحة وانطلاق !

وانبرت « ولعة » تقول « لنزهى » :

— الى أين انت ماض بنا أيها السائق الففل ؟
— ألا تعرفين يا آنستى ان صاحب السيارة سعادة
« السمرى بك » يدعونا الى العشاء فى « مينا هاوس » ؟
فقلت « فلة » :

— العشاء فى « مينا هاوس » ؟ .. أخشى أن يرانا أحد
فانتهزت الفرصة أقول :

— نستطيع ان نصيب عشاءنا على بساط الرمل فى سكون
الليل ، تحت ظلال « الاهرام » ... سأحضر لكم من المقصف
ما لذ وطاب !

فقلت « سمسة » :

— اى مقصف ؟ لقد زهدت نفوسنا فى شطائر الفول
والفلافل التى تبيعها المقاصف ... لماذا لا نتناول العشاء
على موائد « مينا هاوس » ؟

وأجبت أقول في حرج :

— اذا اتفقتم على ذلك فلا مانع عندي ، ولكن الاجمل ان
نتم نزهتنا في طريق الاسكندرية الصحراوى ، قبل ان ننناول
العشاء ، فذلك اذكى للشهية ...

وأشرفنا على فندق « مينا هاوس » ، واذا السيارة
تقف دفعة واحدة ، وحاول « نزهى » ان يستنهضها ، فلم
يقفح ، فقال وهو يقفز منها :
— لا جدوى !

ولحقت به اتبين الامر ، فهمس لى :
— نفذ الوقود ..

وهمهمت :

— بالكارثة ... الا من سبيل للحصول على الوقود ؟
— نحن كما لا يخفى عليك مفلسان !
— والاوانس ؟

وفطنت الفتيات الى ان فى الامر شيئا لا يدريه ، فنزلن
عن السيارة ، وأقبلن علينا متسائلات ، وما لبثن ان عرفن
جلية الخبر ، فكان وقعه شديدا عليهن ، ونشبت بيننا
وبينهن مجادلات لم تخل من حدة ، وخاصة حينما جاهرهن
« نزهى » بالحاجة الى معونة عاجلة لشراء مكيال من الوقود
واسفرت لنا الحقيقة المرة ، فاذا نحن جميعا من الافلاس
على درجة سواء !

وقالت الفتيات :

— ماذا نصنع ؟

فأجاب « نزهى » :

— نعود مترجلين ... المشى رياضة مطلوبة علينا أن نمارسها فترة بعد فترة ، ليستفيد منها الجسد ، نحن محتاجون اليها ، ولا سيما الآنسة « ولعة » ... ولم تصادف مداعبته استجابة ، بل لقد استقبلتها الفتيات بامتعاض ، وما لبث امتعاضهن أن استحال مهاترة وشتيمة ، كان « لولة » فيها النصيب الأكبر ... وفيما نحن نعالج الأمر ، اذ اهاب بنا صوت خشن أن نقاد له ، فالتفتنا نتعرف الصوت ، فواجهنا شرطى يأمرنا أن نصحبه الى المخفر ، فكدت اصعق من هول ما أسمع ، وفي لمحة أبصرت « شكرى » رقيقى فى « الجامعة » وهو صاحب السيارة نفسه ، فأحسست دوارا يصدع رأسى ، وغمامة تنسدل على عينى

واختلطت على المشاهد والاصوات ، فكأننى فى دوامة من الموج عاتية ، لا أعى ماذا قلت ، ولا أدرى ماذا فعلت ... ورايتنى مسوقا مع الجميع الى دار الشرطة ، فأحاطونا بشباك من التساؤل والاستفسار ، وماكان لنا أن نوارب أو نكتم شيئا مما جرى ، فجهرنا بالحقيقة فى خزى وانكسار واختلى الضابط المحقق « بشكرى » فترة قصيرة ، وخرجا إلينا معا يتضحكان ، ثم دنا الضابط منى أنا و « نزهى » بهز كتفيننا ويعلن قراره الحاسم :

— لقد رضى صاحب السيارة « شكرى بك » أن ينزل عن شكواه ، نظير ترضية هينة يلقاها منكما ... فقال « نزهى » :
— ماذا يرضيه ؟

— أن تعودا أدراجكما الى المدينة حافيين ...

فشبهت أنا و « نزهى » نقول :

— حافيين ؟ كيف ؟

وتناهت إلينا ضحكات نسوية على مقربة ، وماهى الامور
تصدى لنا بعض جنود الشرطة ، فانتزعوا من قدمى الخلد
والجورب ، وكذلك صنعوا « بنزهى » ، ثم ألقوا بنا الى
الطريق ، ودار الشرطة تعج بالتضحك والاستهزاء
وسرنا على الطوار ، أنا و « نزهى » ، نحاول أن نروى الف
اقدامنا على السير ، دون حذاء يقيها وعشاء الارض الصلابة
الباردة

وسمعت « نزهى » يبعث من حلقه ضحكة استخفاف
وهو يقول :

— لم أكن أقدر حق التقدير فضل ولاية الامور فى مكافئة
الحفاء ، الا فى هذه الساعة ! .. ما اقسى الحفاء ! .. مساك
أولئك الحفاة ، ونحن لاندرى !

ولم يكذب « نزهى » يفرغ من قوله ، حتى شاهدنا
كتب منا تلك السيارة التى كنا فيها ، تتهادى فى الطريق
يقودها صاحبها « شكرى » نفسه ، فأشرعنا اليها نظرا
الشاردة المضطربة ، فلمحنا فى داخلها فتياتنا الثلاث ، وه
يهتزرن على المقاعد ، ويرسلن انظارهن من خلف النوا
ويشاطرن صاحب السيارة ضجة مرحة صاخبة !

— ١٠ —

منتصف يونية سنة ١٩٥٢

ما كان اشقائى بذلك اليوم المشؤم الذى جرى فيه

— ٦٨ —

حادث السيارة على طريق الهرم . . . لقد اشتدت من اثره
وطأة المرض على ، فاحتبست في البيت ، وأنا احسب اني
موف على هلاك محتوم

واكبر ما امضنى من ذلك اليوم العصيب شعورى بالهوان
من هذه الفعلة الفاضحة ، وهى اشتراكى في المضى بالسيارة
دون اذن من صاحبها او علم . اصف الى ذلك تلك العقوبة
الفريية الموجهة التى ذقت مرارتها الاليمة ، وهى عودتى
الى الدار حافيا انتعل اديم الارض على طول الطريق

لقد تسامع بتلك القصة جمع ممن يتصلون بى ، فلاكتها
السنتهم الطوال ، ونفخوا فيها من روحهم حتى تمخضت
عن اشياء لم تكن منها قبل ، واتخذوها نكتة رائعة يتملحون
بتردادها في المناديات والمسامرات

اما امى فانها اقتضبت الحديث في شأن هذا الحادث ،
ولم تكن قاسية على ، فقد شغلها القيام بتمريضى على النحو
المألوف ، لا ترجو الا أن تعاودنى العافية

وتواردت الايام ، وانا اعانى وحدة موحشة ، وقنوطا
مريرا ، حتى لقد اضربت عن قراءة الصحف والمجلات ،
وزهدت في الاستماع الى المذياع ، ولبثت في برائن هذا
اليأس الساحق ، لا عمل لى الا ان اعد الساعات التى تمر
مرتقبا شبح الموت ، واجدا فيه خلاصا هو نعم الخلاص
وكنت كلما دانيت الركن المقدس في البيت ، ركن المخلفات
التي تتضمن ماكان لآبى من مآثر وامجاد في خدمة الوطن ،
ارانى قد انسللت من الركن انسلال الهارب ، كانى أتهيب
ان تقع عينى منه على شئ

وانقطع « نزهى » عن زيارتى اكثر من اسبوعين ،
وصلنى بعد هذا الانقطاع ، فاحسست الارتياح لمقدمه
والانس به ، وما ان اطمأن به المجلس ، حتى قال :
- لم يكن فى حسابى انك مازلت ملازما الفراش ..
ظننتك تختلف الى « الكلية » ..
وجعل ينقل فى الحجرة نظره الشرود ، فقلت له :
- اصدقنى ... ماذا ابطا بك عن زيارتى هذا الوقت
الطويل ؟

فلم يجبنى هنيهة ، ثم قال وهو ينحرف ببصره عنى
- وماذا تبغى من زيارتى لك يا « سمرى » ؟ احدا
بانى اصبحت عنصرا غير صالح ، وما اريد ان اجنى علم
غيرى .. فليكن كل فى طريقه !
فقلت له فى اخلاص :

- لست احسن منك حالا .. فانى احسن بمثل
ما احسست !

- فلنعترف باننا فى ضلال ... ولكن كيف السبيل الى
تغيير ما نحن فيه ؟ .. ماذا نعمل ؟ انى غير قادر على
شئ ... لكأنى تائه فى بيداء لا استبين سبيلى ! .. كلا
تائه يا صديقى ، ولكن يجب الا نظلم انفسنا ، فالبلد كله
فى مثل هذا التيه ... الشعب كله يتخبط فى الظلام
والزعماء الذين نعقد بهم الرجاء يرعون مصالحهم الخاصة
على حساب الوطن الخائر ، الشائعات مستفيضة ، والصحف
لا تذكر الحقائق الا لمحا ، فالى اى مصير نحن مسوقون !!
وقدمت علينا اُمى تحمل صينية القهوة ، فتناول « نزهى »

قدحه ، وشرع يترشفه ، ولاحظت أُمي أننا لا نتناقل الحديث
فعمدت إلى المذياع تدير مفتاحه ، فإذا المذيع يقرأ بياناً
حكومياً ضافياً تعلن فيه الوزارة عزمها على إنجاز مشروعات
جسام تهدف إلى رفع مستوى الشعب ، وتؤكد إصرارها
على أنها لن تساوم في حقوق البلاد ، بل تطالب بها
كاملة غير منقوصة

فنهض « نزهى » يقول لأُمي في ضراعة :
— استأذنك في إغلاق المذياع .. كفانا تخديراً ومطاوله !
وما عثم أن أدار المفتاح ، فانقطع الصوت ، وعاد « نزهى »
إلى مقعده ناكس الرأس ، يرعى قدح القهوة بنظرة كليله
وشملنا صمت يائس كئيب !

— ١١ —

الحادى والعشرون من يونية سنة ١٩٥٢
مازلت أسير الدار ، فى أسوأ حال .. الجسم واهن ،
والنفس محمومة ، والفكر فى بلبال ... وكان « نزهى »
يختلف إلى ، ويطيل الجلوس معى ، ويفضى إلى بما يروج
لله من الأنباء والأحداث :

هنالك أزمات وزارية متلاحقة ، والساسة الذين يتعاورون
الحكم متدابرون يكيد بعضهم لبعض ، ويشغب بعضهم على
بعض ، ثمة فضائح شنيعة ، ورشوات جسيمة ، تتناقلها
اللسن ، وترمى بها الرعوس والأقطاب ، لقد أصبحت أداة
الحكم ناخرة يعيث فيها السوس ، وليس بمجد فى إصلاحها
علاج .. ثمة زعماء غير راضين عن هذا السوء ، يؤلمهم أن

يشقى به الوطن وأهله ، ولكنهم في صمتهم ساهون ، عزائمهم
خوارة ، وسواعدهم هشة ، فلا أمل في أن يكون منهم قادة
يستنقذون سفينة الحكم من ملتطم الأمواج . لكأن تشاؤماً
عريضة تدور على الأفواه ، يصحبها التملطى والاغفاء ، فاذ
استيقظت العيون على وقع الأحداث ، لم يكن ذلك إلا ريشة
يهدأ الوقع ، ويسكن الصدى ، ثم يعود التشاؤب يملأ الأفواه
والاغفاء يغشى العيون !

وأجدنى أقول لصاحبى « نزهى » :

— أما لهذا الليل من آخر ؟

فيسرح بصره في الفضاء ، ولا يحير من جواب

وأخبرنى « نزهى » بأنه قصد الى قرية « الهماميل
ولقى هناك في القهوة الحاج « سويفى » وغلّامه « فلافل
فشكا له كلاهما ما يعانيان من ضنك وقلق ، لا يخصهم كل
وحدهما ، وإنما يعم أهل القرية . وأنهما سالا فقيه المسجد
الشيخ « عمران » في هذا الخطب ، فأجابهما بأن هذه محنة
يمتحن الله بها عباده العصاة ، ليذكروه وينيبوا اليه ، عسى
أن يمن عليهم بعفو منه ورضوان ...

واسترسل « نزهى » يعبث بالقلم في يده ، ثم استأنف
حديثه يقول :

— نسيت أن أفضى اليك نبأ يهكم .. ان رفيقك
« شكرى » صاحب السيارة المعهودة ، قد حل محلنا في
مصادقة الغتيات الثلاث ، فقد رأيتهن معه غير مرة ، انه
الآن ستة ، ثلاثة شبان لثلاث أنسات !
فعاجلته أسأله :

— و « فلة » ؟

— لقد اختص بها « شكرى » .. اما البدينة « ولعة »
فقد اختير لها صبي قمى ، على هيئة « أبى فصادة » ،
واما السمراء « سمسة » فقد انتهت الى اصطياد شاب
عليه سمات اهل الريف .. هذه الرفقة الطريفة تجوب
الشوارع ، وترتاد الاندية والمطاعم والمساهر ... شاهدها
فى « ملهى نفرتيتى » ، ولمحت « فلة » تراقص « شكرى »
فى دلال مفضوح ، لقد تجاوزت طور التمرين ، واصبحت
الآن مدربة تتقن فن التماجن والملاعبة !

فغمغمت فى الم :

— الخائنة ... النذلة !

فأجابنى وهو يلوح بيده :

— لا خيانة فى الامر ولا نذالة ... لقد طالما كنت تردد
كلمات الكرامة والشرف والنبيل اكثر مما ينبغى .. ضيقت
على نفسك يا عزيزى فى غير طائل ! ... الا تعترف الآن
بانك كنت مغاليا فى احساساتك الرفيعة يا سيد « سمرى » ؟
فخفضت راسى ، لا ادرى بماذا اجيب ...

— ١٢ —

السابع والعشرون من يونية ١٩٥٢
قضيت الاسبوع الفائت كما كنت من قبل ، سليب القوى
طريح الفراش ، تدور بى احلام اليقظة كل مدار ...
ولكنى اليوم خير منى بالامس
زارنى صاحبى « نزهى » ، وجلس الى ساعة ، ومنذ

— ٧٣ —

فارقنى وأنا مهتاج الخاطر ، لا يهدأ لى بال ...

لقد اقبل على ، واخذ يتلفت حوله ، ثم تدانى منى
بهمس :

— وردتنى رسالة من صديقنا « عبد الحكيم » ، وكان
وصولها الى من طريق سرى ...

فانتفضت فى فراشى ، وحدثت اليه اقول :

— اين الرسالة ؟

— اكان يقع فى خلدك انى احتفظ بها فى جيبى ، حتى
اطلعك عليها ؟ ما ان قرأتها حتى مزقتها كل ممزق ،
القيتها طعمة للنار !

واقعد كرسيها بجوارى ، وانشأ يقول :

سأذكر لك ما احتوته الرسالة ... ان « عبد الحكيم »
يصف حياته فى المعتقل ، فهو واخوانه هنالك كأنهم فى جحيم
من الضيق والقلق والاختناق ، انهم لا يشكون فى
الاعتقال شيئاً من التعذيب والتنكيل ، فأكثر الحراس عليها
يشركونهم فى الميول والآراء ، ويضمرون لهم العطف والمسالمة
وقد أكد لى ان الجو تتناثر فيه الارهاصات بأن ثمة أحداً
وشبكة الوقوع ، فالاختلال فى البلد بالغ اقصاه ، وليس
لمثل هذه الحال من دوام ... ان « عبد الحكيم » يهيب به
أن نشهد الهمم ، ونشد العزائم ، وننير افكار الناس ، حتى
يكونوا من قابل أمرهم على أهبة ، وقد أوصانا بأن نحرم
على الكتمان ، وأن نكون على حذر من الرقباء والوشاة .
وفى ختام رسالته يكرر أن مطلع الفجر منا قريب

— ماذا يقصد على وجه التحقيق ؟

- لست أدري .. ولكن رسالته تختلج فيها روح التفاؤل
بالغد ، والإيمان بالمستقبل ، والثقة بأننا مقبلون من أمرنا
على جديد ...

- وماذا تنتوى أن تفعل ؟

فعدل بوجهه الى النافذة ، وقال :

- لم اطمئن الى خطة بعد ... ساستشير فيما افعل

- ومن تستشير ؟

- رفاق « عبد الحكيم » واعوانه ...

- لاتنس المحاذرة ...

- سأحاذر ما استطعت ...

وتحلحل عن الكرسي يخترق الحجر ، في جيئة وذهوب

ثم وقف عندي يقول :

- لابد أن نتخذ لنا في الحياة طريقا غير الذى كنا نسلك

... حسبنا ما أفرطنا فيه من اعوجاج معيب

- وماذا نستطيع أن نصنع ؟

- اذا عجزنا عن أن نصنع شيئا ، فلا اقل من ان ننتظر

في يقظة ، وان نرقب ما يكون على اهبة ...

ونظر في ساعة يده ، ثم قال :

- انى على موعد مع صديق ، وقد حان الموعد ، اودعك

وسأمر بك ...

وشد على يدي ، باسم الحيا

اطلقت العنان لأفكارى ، فيما نقل الى « نزهى » من

رسالة صاحبنا « عبد الحكيم » ، وفيما عقب به على هذه

الرسالة ... وسرعان ما رايتنى أنهض ، واقصد الى

والدتي ، واطلب اليها أن توافيني بطعام ... فاني شعرت
الآن - بعد أن لم أكن أشعر منذ وقت طويل - بفقرط
الرغبة في أن آكل ، لقد ثارت شهيتي ، ولقد عجبت لذلك
من نفسي ، وتهللت أُمي لهذه الرغبة ، إذ كان مما يحزنني
ويطيل همها أني مصدود النفس عن الطعام ، ونشـطـت
تجهز لي حساء الدجاج ، وما أن أحضرته لي حتى أقبلت
عليه في شفف ، فلما فرغت - أو على الأصح : امتلأت -
طلبت إلى أُمي أن تناولني الدواء المقوى ، فجرعت من
جرعة وافية ، وأُمي في دهشة مما أفعل ، ثم قلت لها وإن
ملتـمـع العينين :

- أرغب في أن أعاود أخذ الحقن التي أوصى بها الطبيب
الا تستدعين الممرضة لتبدأ ...

فشاعت على وجه أُمي بسمة ارتياح وقالت :

- سأقصد إليها على الفور

وانصرفت عني تنزيا للخروج ، فاتجهت أنا إلى ركن
الذكريات المقدس ، ذلك الركن الذي يزخر بأمجاد أبي في
الدعوة إلى النهوض بالوطن ، والجهاد في سبيل حريته
وكرامته ... بي حنين إلى الانس بهذه الذكريات الغالية ...
شـدـما أنا شيق إلى أن أتحدث إلى أبي ، أن أستلهمه النصيـحـة
والتوجيه ، أن يفتينى في أمري : كيف أستبين سبيلي !!

- ١٣ -

العاشر من يولية سنة ١٩٥٢
أنا حتى الساعة حليف الدار لا أبرح ... ولكن شتاء

- ٧٦ -

بين يومى وامسى ، شتان بين مريض يصدف عن طعامه
ودوائه ، ومريض يعنى بالطعام والدواء ما استطاع ...
لقد تبدلت حالى ، وراجعتنى العافية بقدر ملحوظ
زارنى صديقى « نزهى » غير مرة ، وقضينا اويقات فى
ركن الذكريات ، نتصفح مقالات أبى ، ونتملى صورته ،
ونناقش فيما كان له من بلاء حسن فى سبيل الوطن
على ان « نزهى » لم يكن يطيل الجلوس معى ، وكنت
اجده سريع الوجوم والاكتئاب ، كأنما يبرح به هم ، وتنوشه
حيرة ، فاذا سأله :

— ماذا انتوى من عمل ؟

اجاب فى اقتضاب :

— لم اقرر امرا بعد ...

— بودى ان اعينك ، وسترانى لك خير معوان

— حقا يا « سمرى » ، لا غنية لى عنك ، ولكن لكل شئ

اوان ... لم يحن الوقت بعد

— ومتى يحين ؟

فحدق الى ، وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة اشفاق :

— عندما تستكمل صحتك ...

فامسكت بيده ، احملق فيه واقول :

— اتخفى عنى دخيلة امرك ؟

— ليس هناك من شئ اخفيه !

— انت تحسب انى هالك ، ولذلك لا تعول على فى امرك

ولا تفضى الى بذات نفسك

فواجهنى يقول فى جد وعزم :

— لست هالكا يا صديقى ... فدع عنك الوسائس

والاوهام ... أتمم علاجك ، وستحين ساعة العمل الحاسم
وليكون لك فيه نصيب !

- ١٤ -

السابع عشر من يولية سنة ١٩٥٢

انصرم الاسبوع كله ، دون أن يزورنى « نزهى » ،
واليوم جاءتنى امى تنهى الى نبا القبض عليه ، فأظلمت
الدنيا فى عيني ، وكدت يفشى على ، وريعت امى ، وبذلت
جهدا فى العناية بى ، وسمعتها تهينم :

- لم أكن أقدر أن يكون هذا وقع الخبر عليك ، ليتنى
كتمته عنك ...

فقلت وأنا ادنى قارورة العطر المنعش منى ، اتشمم :
- لقد أحسنت بى صنعا اذ أخبرتنى ... لا بد أن
تفضى الى بكل شيء !

- ولكن صحتك يا « سمرى » لا تقوى على الصدمات
كما ترى

فقلت متهدج الصوت ، حسير النفس :

- صحتى ؟ واية قيمة لصحتى ؟ لم يبق لى بحياتى
اهتمام ...

- حسبك أن حياتك تهمنى ... من أجلى يجب أن يتم
شفائك ... من أجلى يجب أن تعيش ... أنت كنزى فى
دنياى ... أنت أملى المنشود

ورنت الى تكاد بنظراتها تلتهمنى ، وهى تدانى بين وجهها
ووجهى ، وتقول :

— عدنى الا تهتم الا بصحتك ... لا شأن لك بأحد ...
فلتجانب مواطن الخطر ... اخشى ان يقصوك عنى ...
اخشى ان يلقوا بك فى المعتقلات والمحابس ... صحتك
لا تحتمل مكاره الحبس والاعتقال ... انج بنفسك يا بنى !
فقلت لها فى هدوء :

— وهل تروقك حياتى على هذا الوضع الذليل ؟
فانحنت على تعاقنى وتضمنى ، وقلبها يرجف ، واوصالها
ترعد ، والقلق آخذ منها كل مأخذ ، كأنما تحمينى أن
ينتزعنى منها أحد .. واسرعت الكلمات على شفيتها تقول :
— تروقنى حياتك على اى وضع تكون ... اريد ان
تظل أبدا بجانبى لا تفترق عنى ... اريد ان اراك امامى
سليما معافى ، تروح وتغدو فى قوة ... لا تهتم الا بصحتك ،
لا تشغل نفسك بشيء ... عش لأمك يا بنى ... كن لى
يا « سمرى » ...
وجعلت تغمر وجهى بقبلاتها الملتهفة ، ودمعى يمازج دمهها
السخين ...

- ١٥ -

التاسع عشر من يولية سنة ١٩٥٢
يومان عصيبان مضيا ، لم اذق فيهما طعم السكينة
والقرار ... نفسى تحاصرها هموم كأنها رءوس حراب ...
انى فى غمرات يأس لم تبلغ بى من قبل ما بلغت بى اليوم
وكلما اشتدت على وطأة الضيق ، قصدت الى امى الود بها
واحتمى ، وارانى قد القيت براسى على صدرها أبكى

وابكى ، وهى تلاطفنى وتحنو على ، حتى تسرى عنى ...
تناهت الى قصة القبض على صديقى « نزهى »
بالتفصيل ... لقد دهسته الشرطة فى قرية « الهاميل »
وهو فى القهوة جالس ، مع زمرة من الشبان ، يأترون
بالسلطات ، ويكيدون لها اشد الكيد ، فسيقوا جميعا الى
المحبس ، ومعهم الحاج « سويفى » صاحب القهوة ، وغلما
« فلافل » اذ كانا مشتركين فى الكيد والائتمار ...
وجعلت اناجى نفسى :

— حتى أنت يا « فلافل » ؟!

وذكرته يوم ضمتنا قرية « الهاميل » فى قهوة « السويفى »
حين انبعث « عبد الحكيم » يتحدث عن « الاهداف » ، فقد
كان « فلافل » اول من افصح عن هدفه فى سذاجة
مخلصة ... وقال :

— اريد أن اكون سكرتيرا لنقابة الصحفيين !

وسنحت على فمى ابتسامة هزيلة ، وانسابت من
صدرى تنهدة خاشعة ...

ثم نهضت الى النافذة ، واشعت بصرى فى الدور التى
تتزاخم حيالى ، وتسد الافق العريض دونى ، ورأسى
تتناوح فيه الخواطر ...

لم ابلغ فى الوطنية مبلغ احد ، حتى غلام القهوة « فلافل »
انه اصدق منى وطنية ، واشد حماسة ، واحسن عملا ...
هو الآن فى عداد المجاهدين ، مع « عبد الحكيم » و « نزهى »
وأضربهما ممن تحفل بهم المحابس والمعتقلات ... انه
يجيا بينهم ، يقاسمهم حياة الشظف والعذاب فى سبيل

« الاهداف » ... اما انا ... انا « يسرى السمرى »
ابن « مجاهد السمرى » زعيم الوطنية الطيب الذكر ،
الخالد الاثر ، فمازلت قعيدا فى مكانى ، احيا فى دار منزوية ،
واتقلب على فراش وثير ، واطعم حساء الدجاج فى طمانينة
وخمول !

وادبرت عن النافذة ، اخطو فى الحجرة ، خافض الرأس ،
وانا استمع الى هاجس فى نفسى :

— ولكن املك تبغى ان تعنى بصحتك ... والا يكون لك
شغل بشيء ... تريد ان تعيش من اجلها ، وكفى ...
وانطلقت من فمى ضحكة بشعة ، تجاوبت فى ارجاء
الحجرة اصداؤها ، كأنها تسخر مما انا فيه من خيبة
واخفاق !

- ١٦ -

الثالث والعشرون من يولية سنة ١٩٥٢
ايقظتنى من نومى فى الصباح صيحات مجلجلة يبعثها
المذياع ، وفتحت عينى ، فاذا امى بجانبه تسمع ، فنهضت
اليها اسأل :

— ماذا ؟

فأجابتنى :

— اصغ لما يذاع ... نبا خطير ... بيان من قيادة
القوات المسلحة ...

وجعلت اقترب من المذياع ، حتى كدت الصق اذنى به ،
ولبثت انتظر ، حتى اعيدت اذاعة البيان ، فعرفت منه

أن طائفة من رجال الجيش الاحرار قد ضاقوا ذرعا بما
يتفشى من فساد الاوضاع ، وأنهم قد هبوا لاستنقاذ الوطن
مما يتهده من انحلال

وبادلت أمي النظرات ، ولساني تعقده الدهشة
ثم الفيتنى بغتة أقفز في احتياج ، وأطوق عنق أمي بذراعي
وأغمرها بالقبلات ، وأتصايح :

— لقد ثار الجيش ... لقد حدث الانقلاب !

والتقمت فطوري على عجل ، ثم ارتديت حلة الخروج
وأنا أشعر نحوها شعور طفل يرتدى ثوبه الجديد في يوم
عيد . فقد بعد عهدي بارتداء الحلة ، إذ طالت صحبتي
للمنامة ، وأنا ملازم الفراش ، وفوجئت أمي بي ، وأنا
متهييء لمبارحة الدار ، فقالت :

— ما هذا يا « سمرى » ؟

فقلت في غير مبالاة :

— سأغيب بعض وقت ...

— الى أين تقصد ؟

فابتسمت ، وجهرت بصوتي :

— الى أين ؟ الى الدنيا العريضة ، أشهد ما يدور من

أحداث ...

— أنك لم تستكمل صحتك بعد ...

— صحتي موفورة ... انى أحسن بقوة جامحة !

— ربما كانت في الطريق مظاهرات ...

فقاطعتها أقول :

— لا تخشى على بأسا ... ساكون حذرا ...

وتركت الدار مهرولا الخطا ، ومضيت اجوب الشوارع ،
في تطلع مشبوب ...

كانت المدينة على حالها المألوف ، ليس فيها من جديد
الا دبابات تجوز ببعض المسالك ، وسيارات تفص بالجنود
متنقلة هنا وهناك ، وزمر من رجال الجيش والشرطة
يشرفون على الامن وضبط النظام ...

وكان الناس يتصفح بعضهم وجوه بعض ، منهم
واجمون يتلقون ما سمعوا في خشية وتهيب ، ومنهم
متسائلون ييغون مزيدا من التعرف والاستفسار ، ومنهم
من يتحدثون عن الانقلاب في حمس ، مطنين في التعليق
والتكهن بما يكون

وقفلت الى الدار ، اشد فضولا مما كنت ، مترقبا من
الاخبار ما يشفى القليل

وجلست الى المذياع ، آنسا به ، وبجوارى امي ، نصفى
الى انباء حركة الجيش ، وكلانا في شغف بها اى شغف !

- ١٧ -

الخامس عشر من اغسطس سنة ١٩٥٢
الاحداث الجسام تتلاحق ... ثمة نظم سياسية ،
واوضاع اجتماعية ، تنهار ، ليقوم على انقاضها جديد من
النظم والاوزاع . ونحن لا نفتأ نتلقى انباء هذه الاحداث
في اhtياج وابتهاج

لقد انجاب عن الوجوه ما كان يعرفها من دهش ووجوم

تلك هي الحقائق تتجلى ، والاسرار تنكشف ، فلم يعد يرتاب في جوهرها أحد ...

المواطنون تشيع بين جنوبهم حمية ، وهم يتنافسون في الحفاوة بالقادة من رجال الجيش ، ويلتمسون السبيل الى لقائهم واجتلائهم شاخصين اليهم بمجامع العيون ، يزحمون عليهم كل طريق ، ويصفقون لهم في كل مكان ، وتشدو السنتهم باسمائهم صباح مساء !

ان الجمهور على يقين بأن مقاليد الوطن قد القيت الى صفوة من ابناءه منقذين ابطال ، وحماة امناء

اولئك هم الناس يتناقلون الاحاديث في برامج التجديد والاصلاح والتعمير ، تلك البرامج التي يستقبلها الوطن من اقاصه الى اقاصه في كل مرفق من مرافق السياسة والاقتصاد والاجتماع

لقد استدبرت « مصر » عهدا من الحيرة ، كانت فيه تتخبط في ظلام دامس ، وها هي ذى تتلقى سواطع الاضواء في امل واستبشار ...

وبينما كنت اليوم عن كذب من المذيع ، استمع الى حديث في اهداف ثورة الجيش ، غلبت على سمعى في الدار اصوات تتعالى ، وخفق اقدام تتداني ، وما كدت التفت لاتبين الامر ، حتى وقع بصرى على جمع مقبلين على ، واذا انا اصيح ، وقلبي يتواثب :

- « نزهى » ، « عبد الحكيم » ، « السويفى » ، « فلافل » -
وهرعت اليهم احتضنهم واقبلهم في ارتباك وعيناي يتلالا
فيهما دمع السرور

وغمرتنا موجة من الحفاوة ، بعض وقت ، ثم الفينا
انفسنا نتحلق حول « عبد الحكيم » ، نصفى الى حديثه عن
المعتقل ، كيف زج فيه ، وكيف كان يمضى هناك ايامه ،
وكيف كان على اتصال بأهله ورفاقه ، يرأسهم ويرأسونه ،
على الرغم من الرقابة المضروبة ، والتحفظ الشديد ...
وختم « عبد الحكيم » حديثه يقول في توكيد وحيوية ،
والبريق من عينيه يشع :

— كان من المحال ان تمتد بنا تلك الحال ... لقد كان
الاختلال والفساد على اسوا ما يكون اختلال وفساد ...
كل وضع يجانب طبائع الاشياء مقضى عليه بأن يبيد ...
وقبل ان ينفرط عقد الاجتماع ، وقف « عبد الحكيم »
يتوسطنا بقوامه الفارع ، وجعل يتوسمنا في صمت ،
وأنسنا في نظراته وقدة لم نعهدها فيه من قبل ، فتعلقت به
عيوننا نرقب حركاته وسكناته ، واذا هو يتكلم جهير
الصوت ، وطيء النبرات :

— تذكرون انى تحدثت اليكم منذ اشهر عن « الاهداف »
واليوم استبان لكل منكم هدفه ، وليس علينا الا ان نرسم
الخطه ، ونبدأ التنفيذ ... العهد الجديد يتطلب انشاء
منظمات تيسر لكل مواطن صالح ان يبلغ هدفه في سبيل
تقويم نفسه ، ونفع وطنه

وسكت « عبد الحكيم » هنيهة ، يركز بصره في ، وقال :
— ما رايك يا « سمري » في ان تسند اليك منظمة
الناشئين الاحرار ؟ ستكون لك شعبة خاصة من الفتيان يتلقون
عك التوجيه والارشاد ... سيكون لك ناد ومكتبة وميدان

للتدريب الرياضى والعسكرى ، ومن حقلك أن تصدر
النشرات ... سيكون تحت امرتك - أو على الأصح : تحت
رياستك - فئة من الامة ، يوكل اليك اعدادها للوطن خير
اعداد . ليس وراء هذا مطمع لك لتحقيق هدفك فى الزعامة
الوطنية ، ذلك المأرب الذى طالما ابتغيته لنفسك على غير
هدى

و كنت استمع الى قوله ، ودقات قلبى تهز ضلوعى ،
فما ان أتم كلامه ، حتى تراميت عليه احتضنه واقبله
والتفت « عبد الحكيم » الى « فلافل » يأخذ بكتفه
ويقول :

- لم انس أنك ترمى الى هدف عظيم ... ان تكون
سكرتيرا لنقابة الصحفيين ... لكى تنال ذلك يجب ان
تعمل بادئا مع « سمرى » ... كن سكرتيرا له ...
سكرتيرا لشعبة الفتيان الاحرار ... سنرسم لك خطة
لتعليمك وثقيفك ، وستستوفى حظك من التدريب الرياضى
والعسكرى حتى اذا دعا داعى الوطن لبيت وانت فى أهبة
فرفع « فلافل » راسه ، وفى نظراته زهو ، وعلى فمه
ابتسام ، وطفق يردد :

- سكرتير شعبة الفتيان الاحرار ؟ .. عظيم ...
عظيم ...

ووجه « عبد الحكيم » قوله الى « نزهى » :

- تكلم أنت عن نفسك ...

فانبرى « نزهى » يقول وهو يرفرف بذراعيه :

- لقد شرعت أعيد رسم اللوح الفنى الذى ابتدعته ،

لوح « المدفع » ، وسأعرضه في « روما » في أول فرصة
تلوح ...

وخطا « الحاج سويفى » خطوة ، وهو ينحى على شاربه
يفتله :

— وانا ما هدنى ؟

فصاح « عبد الحكيم » :

— الم تعرف هدك بعد ؟ الم نتحدث في المعتقل معا عن

معسكر التدريب ؟

— معسكر التدريب ؟

— نعم ... سأعمل انا في هذا المعسكر على تخريج

الفدائيين ، وسأتولى تدريبك ... ستكون فدائيا يا سيد

« سويفى » ...

فقال في دهشة وعجب :

— فدائى ؟ فدائى ؟!

— سأكلفك الخروج الى مستودع من مستودعات

الاحتلال في القناة ، مستودع للذخيرة والعتاد ، فتلقى عليه

قنبلة تدعه هشيما تذروه الرياح ... عمل جليل يكسبك

المجد الفريد ... وانت اهل له بماضيك الوطنى في الثورة

المصرية الاولى يا حامل علم الثورة !

— اقوم بمهمتى هذه ، واعود اليكم منصورا اتقلداوسمة

الفخار ...

فتنحج « عبد الحكيم » وهو يربت كتف « السويفى »

وقال :

— امصر انت على ان تعود بنفسك ، كما انت ؟!

— ولم لا ؟

— تعود الينا محمولا على الاعناق ...

فتطاول « السويفى » برأسه ، وهو يردد فى اعتزاز :

— نعم ... اعود محمولا على الاعناق !

فتضحكنا من قوله ، فاخذ ينقل بصره فينا يتعجب
فصاح « نزهى » :

— سنحملك على الاعناق ... فى جنازة مهيبة !

فقلت على الفور :

— الفدائى مصيره الموت الزؤام ، ولكنه موت اسمى من
الحياة ... انه الخلود !

فقال « فلافل » وهو يحملق فى وجه « الحاج سويفى »
— هنيئا لك هذا الخلود !

ومكث الرجل مليا شارد النظر ، ثم اخذ يصلح من شأن
شاربه الذى اسرع اليه التهدل ، وهو يقول « لعبدالحكيم »

— تريد ان تقول انه لا امل البتة فى النجاة ؟

— ثمة امل ، ولكنه امل ضعيف ...

فانبعث « السويفى » يفرك يديه ، وقد حاد ببصره الى
ناحية من الحجرة ، وخاطب « عبد الحكيم » بقوله :

— انت تعرف انى عائل اسرة ، ولى اولاد صفار ، الا تجد

لى عملا آخر غير هذا العمل ؟ لقد كنت فى ثورة سنة ١٩١٩
احمل العلم ، اتقدم به المظاهرات ، وانا دى بحياة الوطن على
الصوت ، ولم يكن احد يستطيع الصبر على حمل العلم كما
اصبر ...

— اعلم يا حاج « سويفى » انه قد انقضى عهد الهتافات

والتظاهر بالاعلام ، وبدأ عهد الجهاد الحق ، عار عليك
يا رجل ان تخشى الموت ... « الحاج سويفى » الذى اراه
امامى فى طوله وعرضه يفرع من الاخطار ؟ لم اكن اظن ان
الجبن يتسرب الى نفسك على هذا النحو ...
فراينا الرجل تزهر عيناه ، وهو يقول فى تلثم :
- من قال لك انى اهاب الموت ، او اخشى الخطر ...
كل ما قلته انى اريد ان ارجع من مهمتى كما ذهبت وانا
حى ... ستجدنى احمل القنبلة ، وانسف بها مستودع
الذخيرة والعتاد فى منطقة الاحتلال ، ثم اعود كالجنى لم
يمسسنى سوء ...

- حسن جدا يا حاج « سويفى » ... هذا املنا فيك !
والقى « عبد الحكيم » علينا نظرة جامعة ، وهو يقول :
- لقد عرف كل منا الهدف الذى يسعى الى تحقيقه ،
واننا لا نبغى بهذه الاهداف النبيلة الا مصلحة الوطن ...
فليعمل كل منا فى سبيله ... والله معنا !

- ١٨ -

السادس عشر من اغسطس سنة ١٩٥٢
انتبهت من نومى صبيحة اليوم ، وانا استشعر فى
اوصالى ديبب القوة والنشطة على نحو لا عهد لى به ، وقد
امضيت ليلى كله مستغرقا فى نوم هانىء لم اذق طعمه منذ
زمن مديد ... وكان راسى يعج بالخواطر ، تدور حول
الاحاديث التى اثارها « عبد الحكيم » ورفاقه فى زورتهم
لى امس ...

واصببت فطوري ، ذكى الشهية ، ثم ارتديت حلة
الخروج ، فتصدت لى امى تقول :

- فيم خروجك يا بنى ؟ الم تكن ملازما سريرك منذ
ايام ؟

فانبريت اقول :

- لزممت فراشى ، لانى كنت مريضا لا قبل لى بالنهوض ،
فاما اليوم فانا شخص آخر ، وافر الصحة والفتوة ...
اتبغين ان تتثبتى مما اقول ؟

وكشفت لها عن ذراعى ، وقلت لها اتحدى :

- انظرى الى هذه العضلات البارزة والعروق المشدودة
اليست عضدى تشبه عضد مصارع غلاب ؟

وجعلت اثنى ذراعى وابسطها فى فورة ، وذنوت من امى
اقبلها واقول :

- ساعمل فى شعبة الفتيان الاحرار ... ساكون رئيس
الشعبة .. قائدها الاعلى ... اعمل على اعداد جيل
جديد يدرك تبعاته نحو الوطن ... لاكون زعيما وطنيا
كما كان ابنى ... جديرا بان تفخرى بى ..
وطال بيننا عناق !

العصفورة

الابوة المفجوعة تعمل بواعيتها
على أن تخدع نفسها عن حقيقة
الموت ، متعلقة بالوهم ، تعيش معه ،
وتعيش به ، وتجد في ذلك راحة
البال ...

و
ام
و
ال
ع
و
ال
في
س
ف
ش

تواردت الاعوام على « المعلم يونس » وزوجه « شلبية »
وهما يرتقبان الولد ، فلم يمن عليهما الزمن به ، حتى
امست حياتهما خواء ، لا بهجة فيها ولا رواء ، يرين عليهما
وحشة وملال

ولكن « القدر » لا يدين بمبدا البقاء على حال ، والركون
الى وتيرة واحدة ، أبغض شئ اليه ان يرى « الحياة »
على نمط متكرر لا يتغير ..

انه ليبتغى الجدة على آية صورة تكون ، من خير او شر ،
ومن نفع او ضر ، ومن تقدم الى الامام او رجوع الى الوراء
حسبه الخروج عن مالوف الاوضاع ، لكى يثير فى اعماق

النفوس كوامن الاهتياج
ومن ثم طالعنا « القدر » يوما يحدث كان له اعظم الوقع
فى حياة تلك الاسرة الخاملة ...
لقد رزق الزوجان طفلة !

وسرعان ما شهت فى الدار يقظة عارمة ، واشرق فيها نور
ساطع ، وجلجلت فيها ضجة وعجيج
اصبحت الطفلة - منذ ولدت - قرّة عين الوالدين ،
فهما يقدقان عليها فيض رعاية وحنان
وكان شأن الاب مع طفله عجباً من العجب ، اذ باتت
شغله الشاغل فى يومه اجمع ...

لم يعد يأنس الى بهجة القهوة ، وسمر الرفاق ، ولغو
المذايع ...

لا يكاد يفرغ من عمله حتى يفرع الى داره يعتصم به
اي اعتصام ، واذا هو يخلو الى الطفلة ، ويغدو معها طفلا
من طراز طريف ... شيخ شارف السبعين ، يتهدل على
جوانب فمه شارب قاصع البياض ، تراه يحبو على الارض
حبو الرضيع ، دالفا بين الأرائك والكراسي يلتمس له فيها
مخبأ يواريه ، ولا يلبث أن يبعث من حلقه صيحة الفزع
والرعب ، اذ تهتدى الصغيرة الى مخبئه ، فتنقض عليه ،
أخذة بخناقه ، وما هي الا أن تدير حول عنقه حبلا تسوقه
منه كما تساق المطية الدلول ، فينقاد الشيخ في خضوع ،
وتكرر الصبية بضحكاتها الرنانة الصافية ، وهي ممراح
طروب ، يزهوها القلب والانتصار

وعلى هذا النحو تتوالى المعاشات ، ويسود الهياج ،
فينطلق « الطفلان » يعيشان في البيت فسادا ، يقلبان اثنائه
رأسا على عقب ، ويتعالى منهما الصياح ، ويشتد بهما
الركض ، وهما يتدافعان ويتفافزان ، فاذا البيت قد انقلب
ساحة من ساحات الملاعب ، تلك التي يجول فيها ويصول
ذلك النفر من المهرجين والبهايل

وكان هذا الصنيع يشير حنق « الام » فتبدو صاحبة
تنذر وتتوعد ، فتهدأ العاصفة على الاثر ، ولا يسمع
الا تهامس خافت ، وتضاحك حبيس !

على ان « شيخ السبعين » او بالاحرى « طفل السبعين »
طلما حظى مع صغيرته بساعات سكونة وقرار ، لا استخفاء

فيها ولا انقضا ، هي ساعات السمر العذب يقضيها الأب مع ابنته منتشيا بحديث أنيس . .

تراه يجلسها قبالة على ركبتيه ، ويلف ذراعيها حول رقبته ، ويدنيها الى صدره ، حتى لكان قليهما يتجاوبان بالخفوق . وانه ليقارب بين وجهها ووجهه ، حتى ليتلاقى الخدان وتتواصل الانفاس

لقد اعتصرت سعادة الدنيا كلها في تلك الجلسة الرخية الحاملة التي يصفى فيها الأب الى صغيرته وهي تقص عليه صورا مما مر بها في يومها الحاضر . . . فهو يصفى ولا يزال يصفى ، مستعذبا بنسيم صوتها الموسيقي الخلاب

لم يكن يعنيه مما تقصه عليه من اخبارها الا ذلك الجرس والنغم . . . فكأنه يستمع الى « عصفورة » تسقسق له في نبرات حلوة صافية

عصفورة ؟ اي والله عصفورة !

ليست صغيرته شبيهة هذا الطائر الرشيق الجميل ؟ انها عصفورة في خفة وثباتها على الأرض ، كأنما لها اجنحة تهفو بها في الهواء ، عصفورة في رشاقة قدما الضئيل الغض ، عصفورة في شمائلها اللطاف وهي تهز رأسها الدقيق يمنة ويسرة ، رامية بنظراتها اليقظة الالاقة هنا وهناك . عصفورة في لحن حديثها الاغن ، لحن البلابل حين تتناجى على الفصون في الليلة القمراء !

انها عصفورة في كل شيء مما لها من خصائص وسمات ، حتى ان الأب لم يعد يذكر لها اسما الا اسم « عصفورة » يجريه على لسانه كلما ناداها وناجاها :

تعالى الى احضانى يا « عصفورة » ... اسمعى منى
حكاية يا « عصفورة » ... قبلينى يا « عصفورة » .. أبوك
يحبك يا « عصفورة » ... كيف قضيت يومك يا « عصفورة » ؟
وكان أول ما تلفظه الطفلة من قول ، وهى ترحب بأبيها
فى أوبته الى البيت حين تهرع اليه باسطة ذراعيها فى
تشوف ، أن تساله :

— ماذا احضرت اليوم معك لعصفورة ؟

فيخرج لها قرطاسا من حلوى ، او لفيفة تنطوى على
لعبة ملونة ، او حلية من معدن براق
فتجذب « العصفورة » هديتها على تشوق واهتياج ،
وهى تتصايح وتتواثب فى خفة ذلك الطير الرشيق !
وفى يوم من ايام « الجمعة » ترك الأب المسجد بعد أن
أدى الصلاة ، وساقته قدماءه فى طريق غير الذى ألف ان
يعود منه ، فاخترق دربا لم يكن له به عهد ... وصادفه
بائع فطير يعرض بضاعته على صينية رحيبة ، تقوم على
محمل من جريد ، ينتحى بها جانب الدرب المسلوك ...
واجتذب ناظره مرأى الفطائر وهى تلتمع فى شرايها المتسائل
متالقة فى وهج الشمس ، فالفى خطاه تحيد نحوها ، وأحس
بأنفه يتشمم عبر الشراب الذكى ، وخطرت « عصفورة »
بباله على الفور ، فهذا الفطير خير ما يقدم لها فى « يوم
الجمعة » المبارك . وعجل الرجل الى البائع يشتري منه
فطيرة سميكة تفرق فى شرايها اللماح ، وانتهى الى داره
يحمل الفطيرة فى دثار من لفائف واقية
ولما تخطى عتبة الدار ، برزت له الصبية قافزة تساله

ماذا جلب لها معه ، فاقتعد الأرض ، وأجلس « عصفورة »
على ركبتيه ، وفض اللبيفة ، فتجلبت الفطيرة منتفخة
شامخة تسبح في شرابها الشهي ، فصفت الصغيرة من
طرب ، وصاحت تقول :

- اهذه لى ... كلها لى ؟

- هى لك كلها يا « عصفورتى »

وطفق الأب يقطع من الفطيرة لقيمة اثر لقيمة ،
و « العصفورة » تتلقى اللقيمات فتلتهمها فى نشوة ،
فسالها أبوها :

- هل أعجبتك الفطيرة ؟

- حلوة ... حلوة !

ولم تلبث ان تشبثت برقبته ، وقبلت فمه قبله جامحة
أحس الأب على اثرها بالشراب الحلو يندى شففيه ، فلغقه
مستطيبا إياه ، وقال :

- سأحمل اليك كل « يوم جمعة » فطيرة مثل هذه

الفطيرة ...

وبر الأب بوعدة ، فدأب على أن يخترق الدرب المعهود ،
بعد أن يفرغ من صلاته ، ويقصد إلى بائع الفطير فى ركنه
الأمين ، يتخير من فطائره فطيرة سميئة ريانة بالشراب
المعسول ، ويعجل بها إلى داره ، فيطعم عصفورته إياها
لقيمة لقيمة ، وهو جذلان النفس بما يرتسم على محياها
الوادع من بشر وابتهاج

واحتلت « فطيرة الجمعة » من قلب « العصفورة »
اسمى مكان ، فكانت تتحدث عنها ، وترقب مواعدها ،

فيزداد الأب من حرص على شرائها كلما انفتل من صلاة
الجمعة ، وانه ليذكرها في قيامه وركوعه وسجوده ، وهو
يكبر الله ويسبح له في هذا الخشد الزاخر من المصلين ،
متمثلا بعصفورته وهي تطعم اللقيمات مستمرثة ، يتسائل
على جوانب فمها الشراب اللماح

وتواصلت الايام ، فتواصلت معها هذه الحياة الجياشة
التي ارتجت بها انحاء الدار ، بعد ان كانت مثابة الملالة
والعبوس والاستيحاش

ترى ماذا كان من امر « القدر » ازاء هذه الدار التي
استقر بها القرار ؟

اترى « القدر » ضاق ذرعا بما يترسل على الدار من
اشراق وللاء ، اذ وجد فيه لونا من الثبات والاستمرار
لا يتفق وجوه الحياة ؟

هل يرضى « القدر » حالا واحدا ، ونمطا راتبا ، لا يعرفه
تحويل ولا تعديل ؟

ان دوام الحال من المحال ، وان « القدر » ليحن الى
ان يجدد في الازياء والانماط والصور ، فلتأخذ تلك الدار
نصيبها من تجديد لا معدى عنه لشيء في هذا الوجود !

رفع « القدر » صولجانه الخالد ، وهزه في الفضاء هزة
خفيفة ، فاذا « العصفورة » يدهمها مرض عضال ، واذا
هي تقضى نحبها في سويعات قلال !

وهكذا طارت « العصفورة » من عشها الأمين ، فطار
معهما الاشراق واللاء ، وطارت اليقظة والصخب البهيج ،
وعاود الدار خمول وكآبة خرساء !

اجل ، عاود الخواء هذه الدار من جديد ، ولكنه خواء
كله تمذيب وتلويع وايلام ، خواء يطعن ولا يقتل ، يطحن
ولا يغنى ، يميت القلب كل ساعة ثم يحييه ليعانى كربات
الموت عودا على بدء !
ومرت الأيام ...

وجثم على صدر « المعلم يونس » تبلد ما أشبهه بسبات
مقيم ... لكأنه تائه فى أضغاث حلم مفزع مهوش ، تنافر
ليه المشاهد ، وتباین الصور والاوزاع ...
وكان أحيانا تتخايل له فى أعطاف هذا الحلم مرأى عزيزة
ليه ، محببة اليه ، ينعم بها لحظات فى أعذب الذكريات ...
ولكن سرعان ما تتكاثف الغيوم حوالیه ، ويعلو زئير
لعواصف دونه ، وتثور الكائنات أمام عينيه مسعورة ،
ثامنا قد أصابها جنة ، وتهطل الأمطار الفزار متدفعة ،
ثامنا السماء قد انشقت فاندفق السيل الحبيس ، وتدور
الرجل غوارب الموج بين تصعيد وتصويب ...
فاذا أمسكت العواصف ، وصحت السماء ، استيقظ
الرجل يمسح فى مآقيه بقايا الدمع السخين ... وبفتة
نبثق فى رأسه خاطر ، فينهض مستوفزا يتلفت وهو
سأل :

— اليس اليوم « يوم الجمعة » ؟

ويجد الرجل فى سيره على الطريق نحو المسجد ، ويقف
من صفوف المصلين مصفيا الى شيخ المنبر وهو يقرع
لأسماع بوعظه الرنان . ولكن الرجل لا يهتم أن تبرز فى
خيلته « فطيرة الجمعة » مالكة عليه مشاعره ، فيتمثلها

على صور اشتات ، كيف كان يتخيرها سمينة ينساب
فوقها شرابها اللماح ؟ كيف كان يطويها في دثارها من ورق
غليظ ؟ كيف كان يحرص على أن تظل منتفخة سوية
حتى يبلغ بها الدار ؟ كيف كان يجلس « عصفورته » على
ركبتيه ليلقمها الفطيرة قطعة بعد قطعة ؟ كيف كان يرقب ذلك
الغم الدقيق وهو يزدد اللقيمات في شغف واستمراء ؟
واشتد وجيب قلبه ، وهو بين يدي الله يؤدي الصلاة
فما كاد يخرج من صلاته بالتسليم يمنة ويسرة ، حتى
مرق من الصفوف يختطف نعليه ، ويعود الى الدرب المعهود
ذلك هو بائع الفطير في ركنه المختار ، وامامه الصينيين
تتراصف عليها الفطائر المبرقشة وهي تتألق في وجههم
الشمس ... انه ليدنو منه ، وانه لينتقى فطيرة سمين
يطويها في دثار غليظ ، وانه لينصرف متابعا سيره ...
ولكن الى أين ؟!

هاهوذا ينحرف عن الطريق المفضى الى الدار ، ويتخذ
سبيله الى الصحراء ... خطواته سراع ، وانفاسه مبهورة الى
ويده تحمل الليفة في عناية وحرص ... أئمة من يرتقب جف
وصوله ، فهو لا يستأنى في سيره ، حتى لا يطول انتظار
من ينتظره هنالك في عالم الصمت والسكون ؟!
تابع الرجل خطاه ، وعيناه ثابتتان في محجريهما كأنهما
عينا تمثال لا تطرفان ، وقلبه يخفق كأنه بين جنبيه طائر
يرفرف بجناحيه

واخيرا لاحت له المدافن ، تحتل بسيطا من الارض
كانها مدينة عامرة ، فهذه ابنية مشيدة ، ومسالك ممهدة

وتلك رياض خضر ترويهما الجداول وتنبت فيها الوان
الأزاهير

وانتحي الرجل ناحية متواضعة مستوحشة ، تتعالى فيها
الرمال ، وتتناثر الاحجار ، وتتطامن بينها قبور عفت عليها
الأيام ، وعملت فيها يد البلى والانهيال . . .

وهناك ، امام قبر صغير ، يبدو من طلائه الابيض
الناصع انه حديث عهد باستقبال ضيف ، مثل الرجل
خاشعا يهتمهم بأدعية وتسابيح . . . وما هي الا ان افترش
الأرض ، وحل وثاق الليفة ، فتجلت الفطيرة رقراقة
الشراب ، فانكب عليها الرجل يقطعها لقيمات صغيرة في
فمهم وتنسيق ، وأحسن أصابعه يتساقط منها الشراب
قطرات ، فجعل يلعقها مستعذبا ما لها من مذاق ، وعلى
فمه طيف ابتسامة يسنح كما يسنح الأمل الشرود

ونهض الرجل يحمل اللقيمات بين يديه ، ثم دنا من
القبر في رفق ، وطفق ينثر على حافته لقيمة لقيمة ، وعاد
الى مجلسه يولى القبر نظرات شوق وتحنان ، وثاقل
جفناه ، فأرخاهما يتهادى به سبات

واستيقظ « المعلم يونس » يستمع الى صوت اغن ،
خيل اليه انه يناديه . . . وحانت منه لفته ، فاذا هو يرى
« عصفورة » رشيقة فوق الجذث تحلق وتسقسق ، فجعل
ينظر اليها بمجامع عينيه ، فاغرا فمه ، وقلبه يزداد به
وجيب . وما راعه الا ان لقيمات الفطيرة التى نثرها على
حافة القبر لم يبق منها الا فتات . . .
ترى اين ذهبت اللقيمات ؟

ودار بعينيه يمنة ويسرة ، وجعل يتبين على مد البصر
هنا وهناك ، فلم يظهر له أحد ... الا هذه العصفورة التي
تتواكب في نشطة ومراح ، وهي تلتقط نثار الفطيرة على رقة
منافاة القبر ، ثم تبسط جناحيها ضاربة في الفضاء ، ثم لا
تهبط على القبر مطيفة به ، حائمة في تطوافها على الاب
الجالس على اديم الارض ، تسقسق له بصوتها الاغن ، والاب
متعلق النظر بها ، لا تحيد عيناه عنها ، وكان قلبه يتأبط
خفوقها بخفوقه ...

ولبثت « العصفورة » على ذلك بعض وقت ، ثم تسامت
في جو السماء ، وأغرودتها تنساب حواليتها وتتزايل معها في
رقة وترنيم ...

رجع « المعلم يونس » الى داره يهرول ، وبين حناياه اهتياج
فما بلغ الباب حتى صاح ينادى زوجه مجلجل الصوت :
« شلبية ... شلبية » ...

وعجلت اليه الزوج ، فبادرها يقول متلاحق الانفاس :
- الا تعلمين الخبر ؟
- اى خبر ؟

- لقد اكلت هي نفسها الفطيرة كلها ...
- من يا رجل ؟

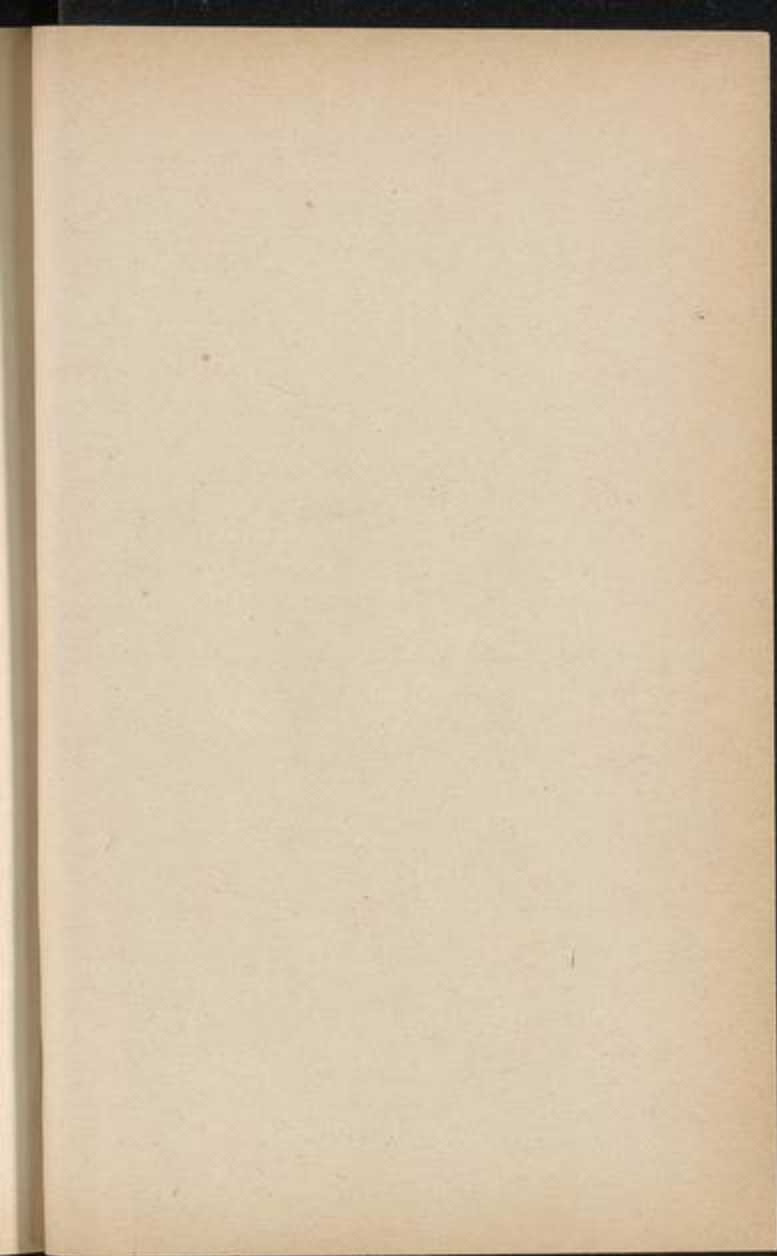
- هي ... هي ... « العصفورة » ...
فغام وجه المرأة ، وقالت لزوجها في لهجة محزونة :
- اى عصفورة يا معلم يونس ؟ ... « العصفورة

اختارها الله ... عند الله ... الصبر بالله !
فقال لها الرجل في شيء من الحنق :

... - أقسم لك على ما أقول ... ألا تصدقيني؟ لقد رأيت روحها تطير فوق القبر ، «عصفورة» تتحدث الى، وتأنس بي، وتقبل على الفطيرة تأكلها في تلذذ واستمراء ... انها هي ثم لاشك ... الست مؤمنة؟ سبحان الله القدير ! ونظرت الزوجة الى رجلها وقد عرتها دهشة أسلمتها الى بسهم ، وقالت في همهمة :

... - روحها ... « العصفورة » ... تطير فوق القبر ... وحدقت فيه مستطلعة ، فظل يردد قوله ، ويؤكدده بنجهر الصوت ، ووجهه تفيض عليه غبطة وسماحة وارتياح في ومنذ ذلك اليوم ، دأب « المعلم يونس » على ان يشتري الفطيرة المعهودة بعد صلاة « الجمعة » ، وأن يذهب بها من اج ساعته الى المدفن ، لكي يقدمها الى « عصفورته » ... وعاش بذلك هانئ البال !





أم - محلول

هل يستسلم الإنسان لعجزه ؟
انه يحاول ان ينتزع من الضعف
قوة ، ومن الضعفة رفعة ، وان
كانت هذه القوة والرفعة في حياة
أخرى غير حياته ... بل بعد
حياته !

الط

للخ

الد

بحر

على

وتش

قدم

لك

ف

يديه

ثم ر

تأخذ

أنفها

»

أنا

مهزو

أترك من رواد المساجد في يوم الجمعة ، تختلف إليها لاداء الصلاة الجامعة ؟

ها انت ذا قد فرغت من الصلاة ، فتأبطت حذاءك ، متهيئا للخروج ، ومثلت بالباب تعالج انتعال الحذاء ، والجمع الدافق حواليك يدعوك الى الاسراع

الم تحس مرة وانت في هذا الموقف بشيء يأخذ برجلك ، يحاول ان يعينك في عملك ، وهو مكب بطرف ثوبه المهلهل على الحذاء يميظ عنه الغبار ، ولسانه يلهج بدعاء فيه ضراعة وتشفع واسترحام ؟

لا عليك ان تعنى نفسك بتفقد هذا الشيء الجائم عند قدميك ، فهو معهود لديك ، ليس بالغريب عنك ، ولا حيلة لك في امره الا ان تلقى اليه بقطعة من النقود ، وانت تهمهم :
— ام سحلول ... دائما انت ؟

فتقبل المرأة منحتك في بشاشة ، ولا تلبث ان ترفع يديها الى السماء تستمطرها خيرا لك ، وبركة عليك ، ثم تنحرف عنك الى غيرك ، محنية الهامة ، قميئة القامة ، تأخذ بطرف ثوبها المهلهل الى وجهها تمسحه ، ثم تخص به أنفها تتمخط

« ام سحلول » ... وهل يجهلها من اهل المساجد احد ؟ انها هي منذ خمسة وعشرين عاما ، تدرج ذليلة المشية ، مهزولة البنية ، في اسمال زرق !

لا تراها ابد الا مخفوضة الرأس ، كأنها تقتفى مواطئ
الاقدام ، أو كأن بعينها داء لا تستطيع معه أن تواجه
الاضواء ، فهي تتحاشاها بالاطراق
لا تسمع منها ابدا الا تلك النغمة الواهنة المستضعفة ،
وهي منكفئة على نعال المصلين ، تستعطف قلوبهم حين
تقول :

— ارحموا اما تكفل طفلها اليتيم ... ارحموها يرحمكم
الله !

عرف الناس « ام سحلول » بهذه الميزات الخاصة ، واكثر
من ضاقوا بها ذرعا هم اولئك السائلون الذين وجدوا فيها
منافسا خطيرا يرحمهم على الكسب الميسور ، فكانوا يناوئونها
بمختلف ألوان المناوأة ، يتعمدونها بالضرب الوجيع
ويغتصبون منها ما جمعت من عطايا ومنح ، ويصدونها عن
السبيل كلما أقبلت على السبيل

بيد أن المرأة صابرة ورابطة ، واحتملت ما تلقى من
عنت واضطهاد ، وظلت تتنقل على ابواب المساجد ، تنصت
من يصدر عنها من المصلين ، تعينهم على انتعال الاحذية
واماطة الغبار عنها ، كأنها تهم بتقبيلها تذلا ومسكنة
لم تكن « ام سحلول » محبة الى رفاقها من اهل السؤال
والاستجداء ، ولم تكن كذلك في الاحياء التي تلم بها محبة
الى الاهلين من عامة الناس ، فهم ينفرون منها ، ويضجرون
بها ، ولا تكاد تجد عندهم قبولا ولا حظوة

وكانت « ام سحلول » تعجب من اولئك الذين يفسحون
صدورهم للسائلين دونها ، اذ يفوتها ان الاستجداء يجب

ان يحاط بمظهر براق ، حتى يبلغ من النفوس مبلغ الاشفاق
فلا بد ان يكون صوت الضراعة على ضفة جهرا يهز السامع ،
ولا بد ان يكون للمستجدي من الضمادات والحرق والعكازات
ما يسترعى الانظار ... وهذه المرأة المسكينة لا تتمتع
بشيء من تلك المؤثرات جميعا ، فلا جراح دامية ، ولا قدم
متورمة ، ولا عمامة خضراء تناطح الجوزاء ، وليس لها ذلك
الصوت الابح المتسلخ يتعالى به حلق صاحبه كأنه ثور ذبيح
يسلم الروح

لقد عجزت « ام سحلول » عن ان تكون من طائفة
المتسولين العتاة ، فما هي بشحاذة توافرت لها أدوات ذلك
الفن الاصيل ...

هي آدمية اختارت لها الاقدار ذلك الحظ من التشريد ،
وهي تكافح وتنافح لكي تكفل طفلها الوحيد ...
لم تكذب المرأة في دعواها ان لها طفلا يتيما ترعاه ، ولولا
هذا الطفل لكان لها مصير غير ذلك المصير ، واغلب الظن انه
لولا طفلها هذا لودعت حياتها منذ عهد بعيد ، ولكنها يوم
احتضنته وليدا احست شعلة الامومة تتقد بين جنبها ايما
توقد ، فبنت عزمها على ان تحيل تلك المزقة الحية النافهة
كأنها له مكانة وخطر

مضت خمسة وعشرون عاما ، والمرأة خلالها تلوذ بأبواب
المساجد والضرائح مستجدية ، وما برج لسانها يتضرع
الى المحسنين بتلك الجملة الخالدة التي لا يعتربها التفسير
والتبديل :

- ارحموا اما تكفل طفلها اليتيم ... ارحموها برحمكم
الله !

أترى يلبث ابنها اليتيم طفلا تلحق به صفة الطفولة واليه
على مر السنين ، وان جاوزت خمسا وعشرين ؟!
ألم تدرك « أم سحلول » أن طفلها قد كبر وترعرع
حتى صار شابا رائع الشباب ، يسعى في الحياة سعيا
العاملين ؟!

إنها لتأبى إلا أن تعده ما برح طفلا وان بلغ مبلغ الرجل
وان انفصل عنها يكدح ويفامر ، فهو على الرغم من كل شيء
ذلك الطفل المستضعف المهيض الجناح ، لا غنية له عن كفالة
أمه ترعاه وتحذب عليه !

نشأت « أم سحلول » في كنف رجل جزاري يعمل في المذبح
كأنما صاغته الطبيعة ليمثل طائفته من الجزارين خير تمثيل
قائمة فارعة ، والواح عراض ، وشارب غليظ مسنون يقف
عليه الصقر كما يقولون في الامثال

نشأت هذه المرأة في كنفه ، وهي صبية لا تعرف
ماضيها أي شيء ، أصابها في بعض الطريق طفلة لا تك
تبين ، اذ التقطها رافة بها ومرحمة ، فاليه يرجع الفضل
كل الفضل في بقائها حية كسائر الاحياء

ذلك ما كان يردده الرجل على سمعها صباح مساء ، ومز
مزهو يقتل شاربه ، فلا غرو أن تؤمن بما له عليها من منة
وان تجزيه على احسانه اليها ولاء موصولا وطاعة عمياء
تخلص له في الخدمة وان اغلظ لها في القول ، وتضبط
بأعبائه وان قسا عليها في المعاملة ، وما أكثر ما عانت
عربدته حين يثوب اليها في جوف الليل ، سكران بترنج
على رأسها يصب ما في رأسه من نزوات الخمر !

كان مولاهما وسيدها هذا لا يفتر عن تذكيرها بما لها من
فضالة وتفاهة ، وهو الذى دعاها « أم سحلول » قبل أن
تبلغ الحلم ، تهاونا بها وسخرية ، فحملت هذه الكنية قبل
أن تعرف كنه الامومة ، وتقبلتها دون انفة ولا تذمر ، واستقر
في اعماق نفسها انها كما ينعتها مولاهما وكما ينعتها سائر
الناس من حولها احقر مخلوقات الله جميعا وابشعهن
صورة ...

وانساقطت الاعوام بتلك الصبية ، حتى جاوزت السادسة
عشرة ، وهى على حالها مخلوقة لا تحنو عليها الطبيعة بشيء
من فتنة الانثى ، ولا حظ لها من العيش الا هذا اللون الدائب
من المهانة والمقت والاذلال

ويوما الفت نفسها شريد طريق ، لا عائل لها ولا ماوى
اين سيدها ومولاهما ؟ لم تدر من شأنه الا قول الشرطى
لها :

— انه لن يعود !

وصافحت سمعها اقاويل عن سيدها ، يتناقل الناس
فيها حديث القاتل الذى ينتظر مصيره المحتوم ، مشتقة
الاعدام !

فارتاعت لما تسمع ، ولكنها لم تستجل الامر على حقيقته
... وعلى مالوف عاداتها اذعنت لما تواجهها به الايام من
احداث

لم تملك « أم سحلول » الا ان تودع ذلك الحى الذى
عاشت فيه ردحا من الزمن ، وتركت نفسها نهبا لغمرات
الحياة ، خائرة القوى ، مشدوهة حيرى ، لا تعرف كيف

تنقل خطاها ، وأوشكت أن تهوى بها الفمرات الى القرار .
ولكن سرعان ما أحست شيئاً يختلج في أحشائها ، كأنه
يعلمها بوجوده ، واستبان لها الامر ، وخيل اليها أنها تسمع
هاتفا رخي الصوت يقول :

— لقد جئتك من عالم الظلام المجهول ، فماذا أنت صانعة
بى ؟

وبغطة شعرت المرأة بيقظة تدب في أوصالها ، فاندفعت
تبكى ، ثم انثنت تضحك ، واستبد بها هياج يختلط فيه
الضحك بالبكاء

منذ ذلك الحين عرفت « أم سحلول » أن لحياتها شأنًا اى
شأن ...

منذ ذلك الحين ايقنت ذات الجنين أنها لم تعد تافهة كما
كانت من قبل ...

انها كسائر الكائنات يجب أن تعيش وأن تكدح ...
لقد أصبحت « أما » ، وحسبها ذلك من دافع وحافز ،
وهل تركت الامومة بعدها فخرا تعتز به الانثى ؟
تلك هى « أم سحلول » بحق ... « أم » فى عالم الكرامة
والتقدير والاعتبار ، لا فى عالم الوهم والسخرية والاحتقار !
عرفت المرأة طريقها الى المساجد والاضرحة ، هدتها
اليها الفطرة الساذجة ، وأتيح لها فى ذلك الميدان جانب
توفيق ، فحمدت لله ما أفاء عليها من نعمة طيبة ، وثابرت
على خطتها فى نشاط وحمية ، حتى استطاعت أن تؤسس
لها ماوى فى زقاق من أزقة « التريعة » : حجرة ضيقة
مستهدمة ، لا يهتدى اليها ضوء الشمس فى شتاء أو
صيف

وما احتياج المرأة الى الضوء حين تثوب الى ماواها المختار؟
لها لتلبث عامة يومها تدرع الطرقات ، وتردد على ابواب
المساجد والضرائح ، تلوك في فمها المضغة المعهودة لكل من
تلقاه :

- ارحموا اما تكفل طفلها اليتيم . . . ارحموا يرحمكم
الله !

فلا يكاد يدبر اليوم حتى تكون المرأة قد أثقلها التعب ،
واعياها الطواف ، فهي تأنس في حجرتها الضيقة بذلك
الظلام الذي يهدي الى جسدها الراحة والدعة ويسبغ على
نفسها السكينة والهدوء

في هذا المأوى وضعت « ام سحلول » وليدها المرتقب ،
وبين جدرانها كان منشؤه ومرباه ، ومنه خرج سليل الظلام
يستقبل نور الحياة في دنيا الامل والعمل والكفاح
وحرصت تلك الشريفة الطريفة ، ربيبة المهانة والبأساء ،
على ان تحوط ذلك الوليد النابت بالرعاية ، وان تحميه من
عوامل البؤس والتشريد ، وان تحيله كائنا له في الدنيا مكانة
وخطر ، على نحو ما كانت تبغى ان يكون !

لطالما اخذت « ام سحلول » طفلها بين يديها ترقصه في
تلك الحجرة المعتمة على بصيص من ذبالة المصباح الاعفروهي
تناجيه بقولها :

- لتفدون اعظم من ابيك . . . وليكونن لك شأن !
ثم تضمه الى صدرها في شفق ، وفمها على فمه ملتحمان
في قبلات يسيل منها دمعها الحنون
وكلما وقع بصرها على رجل مهيب الطلعة ، وجيه
الشارة ، ناجت نفسها تقول :

- لماذا لا يكون ابني مثل هذا الرجل ؟ ... فليحرسه الله !

فان مرت بدار انيقة المظهر ، رفيعة الطباقي ، شخصت اليها تقول :

- لماذا لا يسكن ابني مثل تلك الدار ؟ ... فليحرسه الله !
وان جازت بها سيارة فارهة المنظر ، لامعة الطلاء اتبعتها نظرها تقول :

- ليكون لابني سيارة كهذه السيارة ... فليحرسه الله !
واستمرت المرأة تعمل ، ناشطة السعي ، تزداد من تشبث بالحياة ، وتضطلع بما تجابهها به أعباء العيش ، من أجل طفلها المرموق ... تحرم نفسها القوت لتطعمه من الطيبات ، وتقنع من الكسوة بالمرقعات لتكسوه المستجد من الثياب ، ولا تفتر عن تنظيفه وملاحظة هندامه على حين تبدو هي في أوضاع واقدار

وما ان استطاع الغلام ان يفهم عنها حتى كان اكثر حديثها معه نصحتها بان يكون مهذب النفس ، موفور الكرامة ، رفيع المقام ... تكرر ذلك على سمعه قبل ان تنصرف عنه مصبحة ، وبعد ان تعود اليه ممسية ، وهي فيما بين ذلك غارقة في الازلال والامتهان ، تريق ماء وجهها طول النهار بالاستجداء ، وتنمي ثروتها على الايام بما تدخر من عطايا الكرام

ترعرع الغلام ، وايقع ، وضمته معاهد التعليم ، وتلقى فيها ضروب المعرفة ، فاقبل على درسه ماضى الهمة ، مرهف

الفطنة ، تلهب أمه من عزمه ، وتبصره بأن الحياة صلابة وجد ، وأن النجاح سبيله الاستماتة في الكفاح ولما شب الفتى عن الطوق ، أفردته « أم سحلول » في حجرة لائقة به ، واختارت له هذه الحجرة في بيت حديث البناء يقوم على ناصية « الشارع الكبير » كما كانت تسميه ... أما هي فاستبقت ذلك الجحر المعتم تحيا فيه حياتها الراقية

وكانت تؤم حجرة ابنها تقوم فيها بالخدمة ، فتفسل الثياب ، وتنظف الاثاث ، وتطهو الطعام ... فان اضطرت ان تتحدث الى بعض الجيرة او همتهم انها كانت على صلة بأسرة الفتى ، وانها تعلقت به ، وأخلصت له ، وستبقى على العهد تخدمه

واحيانا يسألها الفتى :

- لماذا لا تقيمين معي يا أماه ؟

فتخفض « أم سحلول » بصرها ، وتأخذ بطرف ثوبها تثنيه وتبسطه ثم تجيب :

- دعنى وما أنا فيه يا بنى ، فان لك شأنا غير شأنى ... أنا « أم سحلول » ... عرفت حياتى والفتها ... ولن أغيرها ما بقى لى وجود ... أما أنت فلك عالمك ومستقبلك ، تحيا فيه وتنعم به ، وتتملى ما فيه من سعادة وعزة ورقى ... فليحرسك الله !

ثم تسمو بهامتها اليه ، تستطلع اثر حديثها في وجهه ، وقد انتفضت نفسها بالحنو ، ونديت عينها بالدموع وترادفت أعوام ، والمرأة تنفق على ولدها في سخاء ،

وتشرف على تربيته وتخرجه بوحى من بصيرة الام الرعوم
واقترح الشاب ميدان العمل ، فأسند اليه منصب في
احدى الشركات يدر عليه من الرزق ما يكفل له عيشة
راضية ، فانتقل الى شقة فاخرة ، واقتنى سيارة انيقة ،
واصطنع الخدم يقومون بشأنه ، وامه على حالها فى حجرها
العتيق ، تزهو بسعيها الموفق ، وثمرتها الناضجة ، وتنشد
لعزيرها النماء والمزيد

ولقد اقلت من زياراتها له ، حتى لا تثير الشبهات من
حواله ، فكانت تحرم نفسها رؤيته ، لكى تجنبه ما يعكر
صفوه ويشوب هناءه ...

ولشد ما عالج ابنها ان يجتذبها الى مسكنه ، وان يقرها
فيه ، فابت عليه ، واصرت ان تدعه كما هو وحده ، وان
تكون هى عنه بمعزل ، لا تبغى بحياتها من بديل

وجعلت المرأة تشتد فى جمع المال اكثر مما كانت تفعل ،
فهى تعمل جاهدة فى الاستجداء ، حتى يتوافر لها قدر من
المال عظيم ترصده لغرض معلوم
حق لابنها ان يتزوج ...

ذلك هو شغلها الشاغل ، وتلك هى امنيتها الغالية ،
فلتبذل ما اوتيت من جهد لكى يكتمل لها من المال ما يصلح
ان يكون مهر عروس ، وما يتبع ذلك من تكاليف افراح
الزفاف

لن يهدأ لها بال حتى ينعم ابنها بالزواج ، فتكون له امرأة
انيسة يرزق منها بالذرية الصالحة ...

لن يطيب لها عيش حتى يهنا ابنها فى ظل اسرة يحوطها
الصفاء والوثام ...

حتم أن يسعد ابنها بكل ما حرمتها الاقدار اياه ...
ليس ابنها في الحق الا صورتها الاصيله ، بل هو جوهرها
الخالص ، بل انه هي نفسها لا ريب في ذلك ولا نزاع ...
فكل ما يستشعره هو من رفاة ونعيم تحسه هي كاملا غير
منقوص

انها لتأكل طعامه وتستمرئه ، وان لم يمس شفيتها مذاقه
انها لتحيا حياته ، تتقلب على وثير فراشه الملون بالوان
الزهر والريحان ، وتنقل في سيارته ذات البوق الرنان ،
وان كانت في جحرها الخرب ماثلة لا تظا الشقة الفاخرة
الا خلسة تخشى أن تقع عليها العيون ، ولا ترى السيارة الا
خطفا حين تنهب الارض في معاطف الطريق

انها لتحس ما يحس ابنها من عزة وكرامة ، وان ظلت
على أبواب المساجد والاضرحة مبسوطة الكف للسؤال ،
منحنية على مواطئ الاقدام تمسح النعال
لم تبق لها من متعة في الحياة تهفو اليها الا أن تشعر
بالفرحة الكبرى : « فرحة الزواج »

فليتزوج ابنها عما قليل ، وليكن زواجه في حفل بهيج ،
يجتمع على موائده الكبراء والسراة والحكام ، وتصدح فيه
الموسيقى بآلاتها الضخمة وأنغامها العذاب ، ويصطف رجال
الشرطة بالابواب يرفعون أيديهم بالتحية للقضاة ويهيمنون
على النظام !

ليكونن الحفل عظيما تتحدث عنه المدينة بأروع ماتحدثت
عن الافراح والليالي الملاح !

وتم « لام سحلول » ما كانت تريد
خطب ابنها « بنت الحلال » ، فتاة كريمة العرق ، وسرعان

ما ضرب لحفل الزفاف موعد قريب

وحل اليوم العظيم ، ذلك الذي ترتقبه « أم سحلول »
منذ عهد بعيد ، ولقد اكرمها الله اذ حباها بما كانت تصبو
اليه ، فما يكون لها بعد ذلك من مطمح في الحياة
في هذا اليوم تختتم مرحلة الشقوة والكد والعناء ، لتبدأ
مرحلة جديدة من الطمانينة والهدوء والاستقرار
في هذا اليوم تكمل رسالتها في ذلك الوجود ، وتتم انجاز
واجبها الذي ناطته بها الاقدار

واضطربت في نفس المرأة حيوية لم تعهدها من قبل
واستشعرت قوة واقتدارا لم تعرفهما في ماضيها الغابر
فذلك انقلاب شامل يطرأ على تلك النفس المستكنة المتخاضعة
اللائدة بالصمت والظلام

انها مخلوق جديد لا يمت الى شخصها القديم بنسب
قريب أو بعيد
لقد اختارت اليوم لنفسها اسما مستحدثا تعرف به
« أم البك »

ولقد أرسلت من يشيع في بيت ابنها أن « أم البك »
قدمت من الضيعة في الصعيد الاعلى لتشهد وحيدها العزيز
في حفل زواجه السعيد

وقضت « أم البك » يومها الاطول تنتقل بين « البلانة »
و « الماشطة » في الحمام ، وبين ايدي النساء يشرفن على
زينتها وملبسها في بيت خياطة مشهود لها بالمهارة والانتق
ولما توارت شمس النهار لتسمح لشموس الحفل
المصابيح الكهربية ان تتوهج مختلفة الالوان ، بدت «
سحلول » وسط الجمع تتخطر ، تارة تحيي الضيوف

وقار وشموخ ، وتارة تطارحهم الحديث في أنس يمازجه
ترفع ، وإذا هي تلتفت بفتة ، لتصدر الاوامر في سطوة
واعتزاز ، جهرية الصوت ، مرفوعة الهامة ، كأنها قائد فيلق
في موقعة فاصلة

لقد ظهرت « أم سحلول » في حلة قشبية زاهية. تطول
قامتها بما انتعلت من حذاء على الكعب انيق ، ويمتلئ
جسدها بما احتشت من أثواب اشتات ، ويعلو صدرها بما
ركب فيه من حشيتين ناهدتين ، بدت بهما المرأة كأنها
عذراء كاعب

ولقد اجادت الماشطة عملها ايما اجادة ، فأخرجت من
المرأة حسناء مكحولة الجفن ، مزججة الحاجب ، مكسوة
الشعر بالسواد اللامع ، مطلية الوجه باخلاط العبير والمساحيق ،
مصبوغة الشفة بالحمرة القانية ، حتى غدت كأنها دمية
للزينة زاهية الالوان

ورئيت « أم سحلول » تنساب من بين أناملها العطايا
والمنح ، فتلقفها جوقة الفناء والرقص ، ويتلقطها الخدم
والحشم ، وانطلق الهتاف « بأمر البك » تتقاذف به الافواه
في حفاوة وتكريم واعجاب ، وانبعثت انظار الجمع تتحلق
حول « أم البك » سائرة في تبختر وخيلاء ، وهم يفسحون
لها الطريق ، ويحنون من هاماتهم في تجلة واكبار

وتصدرت « أم سحلول » مقصف الحفل ، وطفقت توزع
بيديها ما لذ من الطعام وما طاب من الشراب ، سخية بالاعطاء ،
ملحة فيه ، حتى لم تدع احدا الا نولته من فيض خيرها
العميم

ثم عدلت عن المقصف تريد الطريق ، والخدم من ورائها

يحملون قصاع الثريد وصحاف الحلوى ، وإذا هي تطعم
العفاة المزدحمين بباب الدار ، فتعالت أصواتهم يمتدحون
« أم البك » ويدعون لها اخلص الدعوات
وانقضت ساعات الليل ، والحفل ساهر في طرب ومراح
لا يخبو له رونق ، و « أم سحلول » تتراءى كأنما هي
العروس ، وما زوج ابنها الا احدى الوصائف في حفل
الزفاف

وفي مبرق الفجر تزايدت أضواء المصابيح ، وتخافتت
أصوات السمار ، وما هي الا ان أطبق السكون العميق على
جوانب الدار

وصعدت « أم سحلول » الى غرفة أعدت لها في السطح
فتخادلت أوصالها على فراش وثير ، تسترسل بها الاحلام
في شتى الاجواء

وفي ساعة الظهيرة حين جليت مائدة الغداء ، قصد الى
الحجرة رسول يوقظ المرأة من النوم ، لتشارك الاسرة في
الطعام ، فألفاها الرسول جثة بلا حراك

وكان اكبر شيء يسترعى النظر فيها ما يتجلى على محياها
المشرق من صفاء وراحة واطمئنان ...

لقد نعمت بزبدة الحياة في ليلة يا لها من ليلة ، فليست
هي أهلا بعدها حياة ...

لم يعد « لام سحلول » مكان في حياتها السابقة التي
كانت تحياها من قبل اذ أدت واجبها فيها كل الاداء
واطمانت نفسها بما انتهت اليه ، وفرغت منه

ولا مكان « لام سحلول » في تلك الحياة الجديدة التي
يستقبلها ابنها العزيز في ظل زواجه السعيد

انها لتنطلق الآن سابحة في الافاق العلوية ، راضية
مرضية ، وقد تخلصت من القيود والاثقال !

خائب الدهر

صورة من حياة فئة حسبت نفسها
من الخيرة الممتازة . ولكنها لم تعمل في
الحياة ما يحقق هذا الظن ربطت
نفسها بالماضي ، ولم تسـاير الزمن ،
معتقدة ان الماضي هو عالم الخير المحض .
وعاشت على الاوهام في عالم الاحلام ،
ففئيت فيه وزالت من الوجود !

طال

من

اليه

الحق

اباي

الس

م

يغرر

و

يعلم

لقد

واني

يقدر

لا

الى غ

واست

ذلك آخر أيامي لا محالة . . . وما احسب ان الشمس
طالعة غدا ، ولى في هذه الحياة انفاس
لم يعد قلبي مستطيعا ان يواصل الخفوق ، واذن فأنا
من مصيرى العاجل على ثقة لا يتطرق اليها ارتياب
لن يعودنى الطبيب منذ اليوم ، فقد صرفته عنى ، وطلبت
اليه الا يعود

ويح هذا الطبيب ، من مخادع كذوب ! . . . انه ليموه
الحقيقة على ، ويكتم ما يعلم من امرى ، ويتخذ في تضليله
ايامى اساليب تستدعى ان ارثى له ، بل انه ليشير فى نفسى ابلغ
السخط والحنق

من يظننى هذا الفر المافون ؟ لكانه يظننى طفلا يريد ان
يفرر به ، ويسخر منه ؟
وما انتفاعى بذلك الطبيب ، وانا اعلم من خبيثة امرى مالا
يعلم الف طبيب وطبيب ؟

لقد وهبنى الله بصيرة مرهفة ، لا يسمو اليها علم الاطباء ،
وانى بتلك البصيرة لاستجلى ما دق من اسرار الحياة والاحياء
يقينى ان بقائى فى الدنيا قليل ، وان رحيلى عنها وشيك
لا تثريب على اذن فى ان اتخذ من الالهة ما يتخذ الراحل
الى غير مآب . . . استصفى ما يتصل بى من عمل ،
واستدعى اللحد لأشير عليه بما ارى فى شأن القبر الذى

يحتويني ، ولم انس أن أوصي بما تكون عليه جنازتي في
طريقها الى ساحة الصمت والسكون
لقد اطمأن قلبي بما دبرت وما اشرت وما أوصيت ،
وهانذا استقبل الموت في سكينه واستسلام
حان حينى . . . تلك ارادة القدر ، ولا مرد لما يريد ،
بيد أن الناس ينكرون هذه الحقيقة الخالدة ، فيزعمون انى
انا الذى ابلغت نفسى هذه الغاية من التداعى والاضمحلال هو
اولئك هم يقولون انى اسرفت فى التشاؤم الاسراف كله مع
وانى تركت الهواجس والاهوام تفتالن وتلقى بى الى
التهلكة

احقا انا كما يزعم الناس ؟

احقا ان هذا التشاؤم كان يهيم على خطواتى ، فيوجهنى كل
كيفما شاء ، وانه هو علة اخفاقنى فى الحياة ، وهو الذى
ساقنى اخيرا الى هذا المصير الذى انا فيه ، أعد مابقى لى
من حياتى بالساعات ، بل اللحظات ؟
احقا انى من هذا الضرب الذى يخط بيده مصيره
ويخطو بقدمه الى حتفه ؟

احقا انى اسير هواجس اخلقها فى مخيلتى ، لاعكر
صفو أيامى ، وانى اتصيد الاهوام فأبعثرها لتتعر به
خطاى ؟

احقا انه كان فى مقدورى أن امد لنفسى عمرا اطول مدى
وأن اهيب لى حياة أوفر جدوى ؟
تلك مزاعم الناس ومفترياتهم على ، ولعمري انهم لظالمون
لى ، وانهم فى هذا الظلم لاثمون !

كيف يتاح لامرئ ان يزيد في عمره المقسوم له يوما او
بعض يوم ؟ السنا طوع اقدار لا نملك منها الفرار ؟ واين
تلك الارادة التي تسمو الى تبديل ما رسمت لنا الاقدار ؟
ما زال الناس لهم السنة اطول من عقولهم ، فهم لا يفتاون
بقون الكلام جزافا عليه مسحة من برقشة وزخرف ،
وهو كالطبل الاجوف الرنان ، فليس فيه من معنى الاكذلك
الهباء الذي يخرج من الطبل اذا مزقته ، لا يلبث ان يذهب
مع الريح

ما للناس وما لى ؟
فليدعوني لما بى !

ولكن انى للناس ان يتركونى ، ودابهم منذ كانوا ان يقحم
كل منهم نفسه في حياة غيره ، فيفسد عليه امره ، يدعى
انه يفهم من الدقائق والاسرار مالا يفهم سواه ، وانه وحده
مالك ناصية الهداية والاصلاح ، وهو لذلك يتطوع باللوم ،
ويتبرع بالنصح ، متخذا من هذا كله ذريعة الى استبطان
دخائل الناس ، والتغفل فيما يضمرون من شئون
وشجون

لو عرف المرء قدر نفسه ، لاخترن نصائحه لنفسه ،
وكف عن التدخل فيما لا يعنيه ... اذن لخلص الناس
لانفسهم يدبرون امورهم بمنجاة من التطفل والتدخل
والثائر ، ولعاشوا في سكينه وطمأنينة ونعيم
اين هى الوسائس والالهام التي يزعمون انها تملك على
سبيلى ، وتأخذ بخناقى ؟
انها حقائق ملموسة ، لا يتسرب اليها الشك من قريب

أو بعيد ، حقائق ناطقة لا يجحدها الا مكابر عنيد
تلك هي القهوة أمام عيني ... ذلك المشرب الذي يقوم
بناؤه عن كذب من المنزل ، متجليا للناظر تحت الاضواء
بأركانه وأبوابه وأشياءه ...

أحقيقة هي القهوة أم وهم يصوغه الخيال ؟
انت تسألني : وما الصلة بيني وبين القهوة التي هي ماثلة
للعيون ؟

لا تعجل بسؤالك على ، فاني مجاهر بك بكل ما تريد
ليس من عجب في أن تكون بيني وبين القهوة رابطة
وصلة ، فذلك أمر لا تاباه الطبيعة ، وان بدا غير مالوف
ثمة كائنات يرتبط بعضها ببعض أوثق ارتباط ...
رب شيئين اتصل أحدهما بالآخر ، فكأنهما توأمان
متلاصقان ، لا يفترقان في ابتداء أو انتهاء ... هما يزدهران
معا ، ثم يضمحلان معا ، فاذا فنى أحدهما فنى الآخر على
الاثر ... بينهما وصلة روحية يعقدها القدر ، فاذا هم
يجريان في آن واحد الى غاية واحدة

لا سبيل الى اكتناه الصلة الروحية بين الكائنات
المترابطة ، فان كنهها محجوب يعز على عقول البشر ، وما
أعجز أفهامنا عن أن تدرك أسرار الروح ، بل ما أشد قصور
الافهام البشرية عن ادراك الكثير من خفايا الطبيعة وسرائر
الكون

وماذا يبلغ علمنا بتلك السرائر والخفايا ؟
هذا المخلوق البشري أجهل مخلوقات الله بما حوله من
طبائع الاشياء وحقائق الوجود ، ولكن له لسانا طويلا يعين

على التبجح والادعاء ، وانه لفخور بهذا اللسان الذى يشقيه
وبطيل همه ، ولو انصف هذا المخلوق الناعس لاستأصل
لسانه من حلقومه ، ولعاش أخرس يختزن رايه وتفكيره
فى وليجة نفسه ، فيريح ويستريح ، ويسلم من أعقاب تلك
الثرثرة الأرضية التى تجلب عليه الهزؤ والسخرية من جانب
السماء . ولكأنى بالكائنات العليا تستمع الى هذيان ذلك
الانسان الاحمق ، فتسترسل فى قهقهة تملأ الفضاء من
بروق ورعود

اقولها جهرة لا لبس فيها ولا ارتياب . . . ثمة رابطة
روحية قوية وصلت بينى وبين هذه القهوة التى أسميها
لوام نفسى ، وصنو عمرى ، فوحدت ما هو مقسوم لنا
من مصير

يطيب لبعض رفقاى ان يعابثونى فيسألونى : اذا اجزنا
لك ان تستوثق الصلات بين الكائنات الحية ، وان يتحدمالها
من اقدار ، فكيف نجيز لك ما تزعم من الاتصال بين كائنين :
حى وغير حى ، بينك وبين القهوة ؟ . . . انت انسان والقهوة
جماد ، فاین روحها التى تزعم اتصالها بروحك ؟
ما ابين جهل السائلين بأسرار المادة الازلية !

انهم ليقفون عند الظواهر والقشور ، وانهم ليقيسون
الحياة بأقيسة جامدة قاصرة ، لا تلائم ما يحيط بنامن عناصر
الكون وجوهر الوجود . . . الا ان كل شىء فى هذا العالم
حى ، وان اختلفت صور الحياة ، وهل عرفنا نحن حقا ما
الحياة ؟ ما كنهها ؟ ما تحديدها ؟ ما تعريفها على الوجه

الصحيح ؟ وهل وقفنا على حقيقة الروح التي تعمر الجسد ،
فتخلع عليه صبغة الحياة ؟ اليس ذلك كله ما برح الى اليوم
وراء الغيب المستور تتيه فيه الاوهام ؟
كيف لا يكون كل شيء حيا ، وفي كل شيء نفحة من الله
يكمن فيها سره العظيم ؟

انى لزعيم بأن هذه الأشياء التي نسميها الجمادات تنعم
بحياة عامرة كما تنعم الكائنات الحية سواء بسواء ، فلكل
من تلك الجمادات حياته الحافلة بالاعاجيب من طفولة ساذجة ،
الى شباب متوثب ، الى شيخوخة متداعية ، الى فناء في
عباب الكون الفامر ... وانى لزعيم بأن لكل من هذه
الأشياء اقدارا وتصاريف من هبوط وصعود ، ومن نحوس
وسعود ... ولو ارهفنا مشاعرنا لاحسنا حياة هذه
الكائنات من حولنا ، وتأثيرها بنا ، وتأثيرها فينا ، ومشاركتها
لنا ، وان كان يعوزها ما تميزنا به نحن من المنطق والكلام ،
ولعل صمتها وسكونها افصح من كل منطق وابلغ من كل
كلام

لست وحدى صاحب هذا الراى ، فليس منا الا من
يؤمن به في قلبه ، وان انكره بلسانه

اناشدك الحق ان تعترف انت بما تعرف من امرك
اهمس لى بما فى نفسك : الم تستشعر يوما رباطا يصل
بينك وبين شيء من هذا الذى ندعوه الجماد ؟

اذكر ان كنت ناسيا : الم تصاحبك طرفة من متاع بينك ،
او اداة مما تتخذ فى عملك ، او شيء مما تلبسه او تزين به ،
من نحو زهرية او دواة او رباط رقبة ، فاذا ما ادركها

البلى ، ولم تجد بدا من أن تلقىها عنك ، أو تستبدل بها غيرها ، أحسست في قرارة نفسك احساس من يودع رفيقا كريما ازمع الرحيل عنه ، ونزعت بك نازعة رقيقة من حسرة واسف ؟

ذلك القلم الرصاص الذى اصطنعه للكتابة ، فأصاحبه وقتا يقصر أو يطول ، انما هو رفيق عزيز تتصل حياتى بحياته ، وتندمج روحى فى روحه ، فتخلق هذه الأفكار التى يخطها بدمه على القرطاس ، فاذا هى شىء حى له كيان ... وكلما بريت هذا القلم مرة ، ليهبنى لبابه ، فكأننى اقتطع من حياته ، وانتقص من عمره ، وما أنا فى هذا بجان عليه ، ولا آثم فى حقه ، فذلك ما هيأته له الأقدار من تدبير ... كلانا يعيش الى حين ، وكلانا يفنى فى ميقات معلوم ... فلماذا القلم من الدنيا ايام مقسومة لا يستطيع أن يستقدم ساعة أو يستأخر ، وما أنا فى موقفى منه وصنيعى معه الا يد القدر الخفى تعمل على اسلامه الى مصيره المحتوم

شد ما أنا شيق الى معرفة اليد المجهولة التى وكلت اليها الاقدار أن تدفع بى فى غمرات هذا العيش ، وأن تقتطع من حياتى جزءا بعد جزء ، وتنتقص من عمري شيئا بعد شىء ، حتى تسلمنى الى النهاية التى ليس من بلوغها بد

لا غرو أن احس لتلك القهوة التى أطل عليها وجودا وحياة ، وان استشعر ما بينى وبينها من رباط روحى وثيق لست انسى ما تحدث به أبى فى شأن تلك القهوة ، وأنا

يومئذ في بواكير الصبا ، اذ كان يقول لى رزين اللهجة : انك
يا بنى ولدت يوم ولدت هذه القهوة ، يوم فتحت ابوابها
للرواد ، يوم استقبلت صخب الحياة . . . وانه في هذا اليوم
اقيم مهرجانان فريدان ، أحدهما في البيت لمولذك ، والآخر
في الشارع لمولد القهوة ، فتواصلت الزينات ، وتعانقت
المصاييح ، وتجاوبت اصدااء الالحان ، وترنح الشارع كله
بنشوة النور والطرب والابتهاج

وهل انسى ذلك الحادث الذى وقع يوم قضت امى نحبها ،
وانا ابن اعوام قصار ؟ لقد اصاب احد اركان القهوة صدع
شديد ، وكاد ينهار على الرواد ، فعجلوا اليه يقيمونه ، وكان
ذلك اول ما اشعرنى ان ثمة روحا سارية بيننا وبين هذه
القهوة ، والا فما بال هذا الركن ينقض يوم ماتت امى ،
كانما هما على موعد للفناء

كنت ارى أبى يلزم هذه القهوة ، فهو بالجلوس فيها
شديد الولع ، حتى اذا عاد اليها في البيت ، سمعنا منه بعض
ما دار في القهوة من نوادر واحداث ، يفيض في الحديث عن
جلسائه ، وعن ذلك التادل الذى يترسل في ارجاء القهوة
بالوان الاشربة والطلبات في همة ونشاط ، فأصغى الى حديث
أبى في شغف وتشوق ، كانما انا اصغى الى روايت من القصص
والاساطير

واصبحت على مر الايام من رواد القهوة ، اسمع وأرى ،
وان لم اخط فيها خطوة ، اذ الممت بكل ما يدور فيها من
شئون ، وما يختلف اليها من ناس ، فلم يكن يعيننى ان
اتخيلها وانا في مكاني من البيت ، فأحس بانى قد اقتعدت

فيها كرسى أبى على حاشية الطريق ، وانى أترشف القهوة
أو الشاي ، واجتذب أنفاس « النارجيلة » من أنبوبها
الضبابى المديد

هكذا عرفت القهوة قبل أن تعرفنى ، وعشت فيها دون
أن تطاها قدمائى ، فأكنت لها بين الجوانح أعظم الحب ،
واستشعرت لها فى نفسى سارية من الأمن والانس والارتياح
ولما فارقت عهد الطفولة ، واستطعت أن أبارح الدار
وحدى ، كان من همى أن أستبين القهوة التى ملأت على
خيالى ، وجعلت أرقبها هنيهة فى تشوف ، فلم أجد كبير
فرق بين ما رأيته منها رأى العين ، وما كنت أرسم لها من
صورة فى الخاطر

ولبت حيناً لا علاقة بينى وبين القهوة الا علاقة عاشق
يقنع من عشيقته بنظرات يتبادلانها على البعد ، فيناجيهما
وتناجيه ، ولقد كنت أحس كان هذا البناء يهش لى ،
ويرحب بى ، بل كأنه يعتب على فى احجامى عنه ، وتقصرى
فيما يجب له

والحقنى أبى باحدى مدارس الحى ، وكانت القهوة فى
طريق المدرسة ، فكنت أجوز بها ذهاباً وجيئة ، أردد فيها
فاظرى ، وأجد لذلك أنسا ومنتعة

ويوماً وأنا فى طريقى من المدرسة الى البيت ، الفيت أبى
فى القهوة يتخذ مجلسه ، فركضت اليه ، فأجلسنى بجواره
يربت كتفى ، وجاء النادل بشاربه المنتفش ، وميدعته
البيضاء تكسو صدره ، فما أسرع أن عرفتة . وطلب اليه أبى

أن يحضر لى كوبا من شراب الليمون ، فاحتسبته سائغا لم
أشرب أطيب منه مذاقا ولا أحلى

وتعودت بعد ذلك ان اختلف الى القهوة ، اشارك ابي
بعض جلساته ، فتم التعارف فيها بينى وبين صاحبها ومن
يجتمعون الى ابي من الرفاق والانداد

وكانت القهوة ملتقى الصفوة والسراة فى ذلك الحى ،
عليها مهابة تحميها من ابتدال الواردين ممن هب ودب ،
ولم يكن فى الحى سواها من الاندية ، الا تلك المشارب التى
توصف بأنها مشارب بلدية ، يؤمها اخلاط من الناس

توافرت لتلك القهوة حقا أسباب الفخامة ، جوانبها فاسح
وضوعها ساطع ، وأثاثها فاخر ، وادواتها من نوع رفيع
وامامها ساحة رحبة يصول فيها الهواء ويجول ... فإذا
جاء الصيف ، طاب فيها سمر العشى ، فرأيت المناضد
قد صفت دون الأبواب على جانب الطريق ، وغصت بها
الساحة الرحبة او تكاد

يا له من منظر بهيج يتدفق من حيوية ومرح ، حين
يتحلق الرواد حول هذه المناضد فى الأماسى ، كأنهم خلايا
النحل ، وقد تناثرت فوق رءوسهم المصابيح الوهاجة ،
والحاكى يبعث اليهم الحان الفناء ، وطوائف الباعة يجوسون
خلال الصفوف ليعرضوا ألوان السلع ، والمهرجون يبدون
الاعيبهم على دقات الطبول وانغام الربابات ، والحواة
بأعاجيبهم وطرائفهم يسترعون الأنظار ، والسابلة يتقاطرون
للتفرج ، فكان القهوة فى زينتها وزخرفها حفلة عرس لا تنتهى

في ليلة او بضع ليال ، وانما هي مهرجان يتجدد في كل ليلة ،
وتتعدد فيه افانين المباهج والمسرات

وكانت أسرتنا في عهد صباى ترتع في بحبوحة من العيش
فهذا أبى يمارس التجارة في توفيق واقبال ، لا تنبو له
همة ، ولا يكل من السعى ، وبذلك استطاعت الأسرة في
هذا الحى أن تبارى كرائم الاسر في بسطة الجاه ، وان تظفر
من الجيرة بالموفور من الاكبار والاعزاز

شرع الحى بعد ذلك يستقبل موجة طارئة من التغير
والتبديل ، فرأيت بعض المنازل المتواضعة المحيطة بالقهوة
تسرع اليها يد الهدم ، وما هي الا أن تقوم مكانها ابنية
سامقة ، وتقلصت الساحة الرحيبة حيال القهوة ، اذ
شيدت في أرجائها دور جديدة ، وكان المبنى الذى يقوم
فوق القهوة قليل الطبقات ، يشغل صاحب القهوة شقة
فيه ، فلما تعالت عليه الدور حوالية فقد روعته ، وبدا كأنه
قزم هزيل بين العماليق

واصاب أبى وعكة ألزمته فراشه ، وأوضح له الاطباء
أن المرض في القلب ، ونصحوا له الا يبذل من جهد ، فتخلف
عن متجره ، ولم يكن في مستطاعى أن اخلفه على المتجر ،
اذ كنت قد التحقت باحدى الوظائف الحكومية ، فانقطع
عن الأسرة رزق كبير ، واضطرت أن تجانب ما ألفت من
ترف وان تأخذ بأسباب الاقتصاد في الانفاق

واشتدت العلة بأبى ، فكان لا يبارح البيت الى القهوة
الا في الحين بعد الحين ، فأثرت أن أرعى فيها مكانه ، وحرصت

على ان اشغله ، وان اعتر به ، حتى احتفظ لابی بمقعده
الوثير

وفوجئت صباح يوم بأنى منقول الى احد بلدان الصعيد ،
ولم اجد من يعيننى على الفاء هذا النقل ، فاستجبت له ،
وقضيت فى الصعيد بضعة أشهر عانيت فيها اليم العذاب ،
فانا هنالك وحيد لا أعرف لى من صاحب ولا خدين ،
والبلد قصى معزول عن العالم الصاحب كائن فيه حبيس ،
وكان حنينى الى « القاهرة » يزداد بى يوما بعد يوم ، ولا
يرج مخيلتى ذلك الحى الحبيب الذى نشأت فيه ، وتلك
القهوة الانيسة التى تزينه

وكان يغرينى بالبقاء فى هذا البلد انى فيه رئيس لاسلطان
لاحد على ، وان عملى فيه سبيل الى رقى سريع ، ولكن
ضيقى بالوحدة ، وحنينى الى المدينة ، شوه فى عينى كل
هذا الاغراء

وعرفنى فى تلك الفترة عميد أسرة ميسورة فى ذلك البلد ،
فرشحنى وسطاء الخير من جانبه أن اكون لابنته زوجا ،
وأن يشركنى فى أعماله الكبيرة التى تدر عليه وافر المال ،
فلم اكرث لذلك كله ، وكيف لى أن اقيم فى هذا المنفى
الموحش ؟ واذا كنت أؤثر الخروج من الوظيفة الحكومية ،
لاقتحام الاعمال الحرة ، فماذا يحوجنى الى الناس ، وذلك
متجر أبى فى « القاهرة » ينادينى أن أقوم عليه ؟

وبوما تلقيت برقية تنبئنى بأن والدى على شفا خطر ،
فتملكنى روع ، وهرعت من فورى الى القطار ، وما كدت
أبلغ عتبة البيت حتى علمت أن أبى قد فارق الدنيا منذ

قليل ، فهالتنى الفاجعة ، ولكن مراسم الجنازة واقامة الماتم
ارادتنى على ان اتجلد ، وأن اضطلع بالامر كما ينبغي أن
يكون

وحانت منى وانا فى غمرة هذا الحادث نظرة الى القهوة ،
فاذا هى مغلقة ، فتساءلت ، ما سر هذا الاغلاق ؟ فأعلمونى
ان تنظيم العاصمة اقتضى شق شارع فى الحى ينتقص جانباً
من مبنى القهوة ، وانه قد حان يوم التنفيذ ، فأحسست
حيرة تستبد بى . . . بالمصاب القهوة فى يوم المصاب بأبى !
وفى غد سمعت صوت المعول ينقض على جانب المبنى ،
فكانما كان يدق راسى ، وكأنما كان صوته نواحا مع النائحات
على فقيد الأسرة العزيز

وأسرع صاحب القهوة اليها يلم شعثها ، ويرم جوانبها
ولكنها أصبحت بعد ذلك الترميم والاصلاح كئيبة الشكل ،
سائبة المنظر ، كأنما هى كسير بترت ساقاه ، فهو يسير
منجهم الوجه ، متفضن الجبين ، يتحامل على عكازين من
جذوع النخيل !

تعذر على ان أعود الى عملى فى الصعيد ، فكتبت الى
الوزارة ارجب اليها فى نقلى الى «القااهرة» ، فلما لم
تجب سؤلى قدمت اليها استقالتى ، ايثارا منى للعمل الحر
فى متجر أبى

اترانى أخطأت فى هذا الصنيع ؟ لقد لامنى فيه كثير من
الرفاق ، وحاول ان يثيننى عنه بعض ذوى القربى . ولكنى
كنت الرشيد فيما أنا معتزم ، فلم أعبأ بلام ، واصممت
على دون من يحاول تثبيط عزمى

لقد آن لى أن أنفذ ما تهفو اليه نفسى من برامج وخطط فى
أجدد ذكرى أبى فى التجارة ، وأحيا فى الأسرة حياته ، وأتو
فى القهوة مقامه . . . لأحتذين مثاله ، فكأنه - بى - حى
يعصف به عاصف المنون

بيد أنى لم أوفق فى تحقيق تلك الامانى الرطاب . . .
فالتجر على درجة من التدهور بالفة ، ولم أملك أن أنفذ
من عشرته ، وإن استنقذه من يد الخسار . . . وكأنه
الحيلة الاخيرة فى شأنه أن أبيع له لقاء عوض من المال
بأس به

ونصح لى الناصحون بالسعى الى استعادة وظيفتى
الحكومة ، فانتصحت وسعيت ، ولكن السعى لم يثمر
وقد زاولت اشتاتا من الاعمال ، بغية الاطمئنان الى
راتب فيه قرار ، فوقف النحس لى من حيثما اتلفت ، حتى
رضيت من الغنيمة بالاياب

ولم أجد بدا من أن أهادن السعى ، واسكن بعض وقتى
قائما بصباغة من المال اقتضيها كل شهر من حصة فى
كانت لامى ، فآلت الى

وهكذا فقدت ما كنت آمله . . . الا ذلك الركن الحبيب فلتت
فى القهوة الانيسة ، ركن أبى من قبل ، فهو المفرز والملاصق
فيه اقضى جل الوقت ، محتلا ذلك المقعد العظيم الذى
على الايام بعض ما كان له من صلابة وقوة ، ومن ثوب
وجلجل . . . وكيف لا يصيب التغير هذا المقعد وقد تقادم
فى القهوة كل شئ ، فهذه « النارجيلة » قد صدىء
الصقيل ، وبلى أنبوبها الطويل ، وذلك النادل قد تقادم

ظهره ، وشاب رأسه وبدأت ميدعته على صدره كأنها رقعة
في ثوبه لا نظيفة ولا أنيقة

على أن القهوة ظلت على حالها مجمع النخبة من أهل
الحى ، أولئك الرواد القدماء ، ولكن معظمهم لم يستعصموا
على الكبر ، فإذا هم مضمحلون قد تبدلوا من نشاطهم رزانة ،
ومن مرحهم وقارا وحشمة ، ومن جاههم خمولا وتخلفا ،
ومن ثروتهم قناعة ورضا

وعز على القهوة أن تستجلب جديدا من الرواد ، فقد
أصبحت حبيسة محدودة النطاق بين الابنية الرفيعة ، لا
تكاد تنالها الأبصار

وكنت أحاول في مجلسي من القهوة أن أسرى عن نفسى
ما وسعتنى التسمية ، أترشف الشاي ، واجتذب انفاس
« النارجيلة » وأدفع تلك الافكار السود التى تطوف بى
بين الفينة والفينة ، مؤكدا لنفسى أن كل شيء طيب ، وأن
القناعة كنز لا يفنى ... !

وكثيرا ما كنت استسلم — على الرغم منى — لما ينتابنى
فمن هواجس ووساوس ، فأحس بقلبى يذوب من لوعة
يجرأنى ... تلك هى أسرتنا العريقة المجيدة ، يصيبها
التضعف ، ويخمل ذكرها فى الحى ، وهأنذا اندم على أن
أفقد من يدي تلك الزوجية الطيبة التى عرضت على فى
الملاصعيد ، وعلى انى أضعت عملى الحكومى الذى كان يكفل
نقلى رقىا على الايام

تو ... أما ان أتزوج اليوم فهذا مالا يكون ... وكيف لى بالزواج
دنى وأنا أكابد مطالب الحياة ، ولا أجد من فضل المال ما
معه اليوم بجديد من التكاليف والنفقات ؟

وهذه القهوة التي بقيت لى ... ان حالها ليبلغ
السوء مثل ما اعانيه ، كلانا كئيب يزداد على الزمن من تناقض
وانهيار ، ولا يعرف له من قرار

ما اقسى هذه الخواطر التي كانت تزدهم على رأسى
فى القهوة وحيد ، فاذا اقبل اصداقاء القهوة الاوفياء لى
ساعة الاصيل ، رأيتهم على شاكلتى يشكون كما اشكون
وان لم تنبس افواههم بكلام

اولئك الذين كانوا بالامس يتباهون بالصحة والشباب
والاقبال ، لا اجد اليوم منهم الا منهوكا عجلت اليه
الشيخوخة ، او زعرعه المرض ، او تناقلت عليه
الغيش . ليس منهم احد الا وقد عبثت به خائنة الزمن
واحدثت فيه ماتما بعد عرس

كنا جميعا نجلس متقاربين حول المناضد ، نتذكر
الصفو والهناء من حياتنا الخالية ، اذ كانت القهوة تنبعث
لقصاها ، وتعج بروادها ، كانها غانية فى فتنه الشب
وجدة الاهداب

يا لى من هذه الذكريات التي تتوارد على الآن ، وانا
فراشى مسجى ، ارتقب الحين المقدور

انها ذكريات تأخذ على مسارب الانفاس ، وكأنما
تنفث سموها فى مهجتي ، فتكاد تعوق قلبى عن
الخفوق

رويدك ايها القلب الملتاع ...
امهلنى دقائق حتى اتجرع بضع نقط من دواء ، فلى
لك انعاش

ها قد تناولت الدواء ، وان قلبى ليعاود نبضاته فى انتظام ،
أتى لاستشعر هداة وسكينة ، وما احسبها الا بوادر الراحة
كبرى ، راحة الصمت الى الابد

غدا يطبق الظلام على كيانى وعلى القهوة جميعا
غدا يهبط كلانا فى الهوة السحيقة التى لا مفلت منها
كوكائى وان تراخت به الايام

لزمت الدار منذ فترة لا ابرحها فى صبح او مساء ،
ولست فى هذا بعابث ، فانا لاشك مريض ، وان مرضى
مضطرنى الى هذا الاعتكاف

لقد حرمت نفسى الذهاب الى ركنى الحبيب من القهوة
من الياسة ، فانظر ماذا اعانى من وحشة وانقباض ؟!

شد ما هى عصبية تلك الاوقات التى اقضيها فى الدار
ايوحى ، أزجى ما بقى لى من ساعات فى هذه الحياة ، واعدها
ساعة بعد ساعة

هانذا اتوارى عن انظار الخلق اجمعين ، واسدل على
نفسى ستارا كثيفا يحجب عنى كل شئ فى تلك الدنيا
باعتقاده الغرور

لا اريد ان تكون لى صلة بمجتمع الناس
لا اريد ان تتناهى الى سمعى تلك الانباء المفزعة التى
منافقونها فى شأن القهوة ، اذ يقولون انها على وشك
النقاص ، وان كنت على الرغم من ذلك أشد ما اكون
شوقا الى سماع هذه الانباء ، كما يتشوف السجين اليأس
فبالى سماع الحكم عليه ، وان كان الحكم بالاعدام

أيتها القهوة العزيزة ... انى لاحبك وارهبك فى آن

لكأن فيك روحا خفيا يعمل على أن يبيدنى ويدنى من
الفناء كيأني

ليس عليك في ذلك ملام ، فكل شيء في هذا الكون يحمل في
رسالته من خير أو شر ، ويؤديها بالطوع أو بالكره ، ثم ياؤى
الى غيابة النسيان كان لم يكن بالامس

لا ، أيتها القهوة العزيزة ... لا أريد أن اسمع من
أخبارك شيئا بعد اليوم ، وكفى ما قاسيته من هذه الأخبار
لقد أصابتنى اول نوبة قلبية يوم علمت نبأ الحجز على
متاعك ، وفاء للدين الذى تراكم على كاهلك ، ومنذ ذلك
اليوم وأنا طريق فراشى لا أغادر الدار

واليوم اعلم ان موعد البيع صبيحة غد ، وان المبنى
سيهدم عما قليل ، ليقوم على أرضه بناء يطاول السحاب
جديد

وأحر قلباه ... كيف تتابعث الأحداث على هذا النحو
حتى أسلمتنا الى ذلك المصير ؟

هذه القهوة استطاعت أن تغالب ما صادفها من رز
ومحن ، فاجتازت سنوات الحرب في صبر واحتمال
وسلمت لنا تواتينا بالسلوة والمتعة والايئاس ، حتى ظننا
أن الدهر قد هادتنا فى شأنها ، وأنه سيبقى علينا وعليه
فما لهذا الامل الذى داعب نفوسنا تقضى عليه تلك الفئ
الناجمة التى اطلقوا عليها لقب : « أغنياء الحرب » ؟!

لقد ظهر بيننا فجأة هؤلاء الاغفال المتبحجون ، فمكرو
صفو هذه البيئة الطيبة الهادئة ، وانبعثوا يقلبون الاوضاع
ويسلبوننا اعز ما نملك بما توافر لهم من اموال غزار

لكأنهم غزاة واغلون ، يزحموننا على الامكنة الرفيعة في
الاجتماع ، فيقصوننا عنها في سطوة ، ويحتلوننا دوننا في
جراة ، وانهم ليتقدمون الصفوف ليكونوا سادة المجتمع الحديث
في الثروة والجاه والسلطان

وها نحن اولاء ، أبناء المجد التالد والعزة القعساء ، لا
ملك ازاءهم الا ان نتحنى لهم عن الطريق ، وكيف ندافعهم
وقد بلغ بنا الهزال كل مبلغ ، واصبحنا معهم فقراء لا
نستطيع مكائرتهم فيما تمتلىء به ايديهم من فضة وذهب !
لقد كنا منذ عهد قريب نشهد هذا الصنف العجيب من
الغنياء الحرب ، وهم يضربون في الأرض ، نافخين اوداجهم
من الشبع ، مصعرين خدودهم من الكبرياء ، متفاخرين
بالخلل القشيبية والخلى الغالية والسيارات الفارهة ، مزهوين
بانهم ينثرون المال يمئة ويسرة ، كأنهم يمتحون من نبع
لا يفيض

وما اسرع ان رايناهم يتتبعون مواقع الارض في كل
ناحية ، فاذا هم يشيدون عليها الابنية الشاهقة بأيدي
ساحرين ، كأنهم يفرسون في الارض بذورا لا تلبث ان تكون
اشجارا فينانة في لمح البصر

كان منهم نفر يحدجون القهوة في مفداهم ومراحهم
بالنظر الشزر ، يستهزئون بها وبمن يؤمها من الرواد ،
ويتناقلون عنها وعن روادها الوانا من النكات والاضاحك
لكننا نسخر منهم في ترفع وازدراء

ماذا في القهوة يستوجب هذا الاستنكار ؟
لكن ضئيلة الرقعة ، فحسبها انها تتسع لروادها

الكرام المنبت ، ولتكن هزيلة الاضواء ، فانها لا بهج في عيون
روادها من كل ضوء ساطع وهاج ، وليكن النادل
فيها قد تغضن وجهه ، وتهدل شاربه ، وبليت مبدعته ،
فانه مازال بقلبه الكبير وروحه الانيس يفيض على الرواد
ما يحبون من رضا وصفاء

هذا مقعدى الخيزراني قد تقوضت اركانه ، ولم يستطع
أن يقوم بنفسه ، فأسندته الى الحائط يدعمه ، ولكنه مابرج
رفيقى الذى أحس به يبسط لى ذراعيه ، ويفسح لى من
جوانبه ، فاطمئن فى جلوسى عليه اطمئنانا لا يتيح لى سوا
من وثير المقاعد

ليت هذا النفر من اغنياء الحرب قد اقتصر على النظر
الى القهوة بعين الازراء ، واكتفى بالنكات يصبها عليها وعلى
روادها الكرام ، ولكنه أبى الا أن يقضى على القهوة وعليه
فى غير هواة ولا مرحمة

غدا تباع القهوة استيفاء لما ركبها من دين
غدا يمزق متاعها شر ممزق ... ولن يكون مصير
المقعد الحبيب الذى صافانى وصافيته زمانا الا أن يذهب
طعمة للحريق !

غدا يهوى المعول على مبنى القهوة ، فتنهار جنباته تحت
الضربات الثقالة ، طاوية معها صفحة من روائع الذكريات
غدا ينسدل الستار على حياة ذلك المكان العزيز
وغدا أيضا يمسك قلبى عن خفوقه ، ليطوى صفحة
ايامى فى هذا الوجود !

ياسادة ياكرام

القلب وان كان قاسيا يحن الى
المففرة ، الى العفو عن الخطيئة ،
وهو في ذلك يسمو بعاطفته ، حتى
يصبح جديرا باسم « الانسان »

ال

ص

يا

لا

ال

أ

ال

س

بع

ال

ح

تم

يم

الن

بالا

على مصطبة رحيبة من دار متواضعة ، في قرية « كفر
النعام » جلس الشيخ « صفوان » يصيب فطوره مع
صديقه الحميم الشيخ « موهوب » ...

وكان الشيخ « صفوان » في هذا الصباح يحس بالهم
يدخله ، فهو حزين النفس ، مطرق الرأس ، نظراته قلقة
لا تعرف لها من هدف ، تراه وقد انبسطت يده الى صفحة
الطعام ليتناول منها مضغة يدسها في فمه ، فكانك ترى
آلة تتحرك دون أن تعي

وبينما هو كذلك ، اذ اقبلت عليه خادمتها العجوز « ام
الخير » ، وما لبثت أن مالت عليه تلقى في أذنه كلمات ، فلما
سمعها الرجل اهتز في مجلسه ، وبرقت عيناه ، وتناول
بعنقه يقول جهر الصوت :

- ابنتى « حليلة » عادت ؟ ... لا اعرف لى ابنة بهذا
الاسم ... اليك عنى يا امرأة ... اغربى عن وجهى والا
حطمت عصاى فوق رأسك ..

وانسرحت يده تتلمس العصا حواليه ، فأسرعت المرأة
تمضى عنه فى خشية وفزع

ولبث الرجل مأخوذاً يطبق عليه صمت ، وقد رجع
بمخيلته القهقرى سنوات يعرض من ماضيه تلك الصفحة المخزية
النكراء ، صفحة ابنته وقد زلت زلتها الكبرى فالحقت
بالأسرة عار الابد ... تفريط فى العرض ، وراءه حمل اثم !

كان هذا منذ سنين عشر ، وابنته يومئذ لم تتجاوز السادسة عشرة ، ففادرت القرية بائنها الى غير رجعة ، وخلفت له ذكرى مريرة ، طالما شقى بها ولاقى منها الويل والثبور

وازهرت عين الشيخ « صفوان » ، واذا هو يلتفت الى جليسه الشيخ « موهوب » يقول له متهدج الصوت ، ملوحا بيده :

— اى ابنة تلك التى عادت ؟ ان ابنتى ماتت منذ زمان ... لم يعد لها فى الارض وجود !

وحاول الشيخ « موهوب » ان يسكن من روع صديقه ، وان يرد اليه طمأنينة نفسه ، حتى يستأنف طعامه ، فكان الشيخ « صفوان » يلوك اللقمة فى فمه ولا يكاد يسيغها ، وهو ناكس الرأس ، خافض البصر

ولم يجد الشيخ « موهوب » بدا من ان ينصرف عن المجلس ، تاركا صديقه على مصطبته ، لعل السكينة تراجعه فى خلوته ، فبقى الشيخ « صفوان » وحده طويلا تعبت به الذكريات ، حتى الفى عينيه تجودان بالدمع

وضرب الرجل يده فى صدره يخرج مصحفه ، وفتح امامه يريد ان يقرأ ، فاذا هو شارد النظرات لا يستطيع الى القراءة من سبيل

وتراءت « ام الخير » على مقربة من المصطبة ، وهى تتدانى من الشيخ « صفوان » على تخوف وحذر ، حتى اخذت بقدمه تدلكها فى سكون ، واحس الرجل وجودها فصاح بها يقول :

- اياك ان تحدثيني عنها اى حديث ...

فتشبت المرأة بعباءته مستعبرة تقول :

- رحماك يا سيدى رحماك !

- لا اعرف شيئاً اسمه الرحمة ...

وبدا الرجل كأنما اكتسى وجهه باللهب ، وأوصاله
ترتجف ، فاستأنفت المرأة تقول :

- انها فى دارى ترتقب اذنك ، وترجو عفوك ، ولولا
خشيته منك لقدمت عليك ، تعفر وجهها بتراب رجلك
فانحنى الرجل عليها يدفعها بقوة ، وهو يقول :

- انصرفى عنى يا امرأة ...

- انها تبغى ان تراك قبل ان تموت ... انها فى النزاع
الآخر !

- فلتذهب الى الجحيم ...

- لقد جاءتك نادمة تائبة تأمل ان تموت بين ذراعيك
وانطلق الرجل نائراً كالبركان لا يعرف لخطواته قصداً
ولا وجهة ، والهواء يلفحه كأنه أنفاس موقد يتضرم ...
وكان يخيل اليه فى أثناء سيره ان هتافات تحيط بسمعه
فأثالة له :

- « حليلة » عادت ... « حليلة » عادت ...

وان هذه الهتافات تتوافق هى وخفقات قدميه على ايقاع
واحد ، واحس ان تلك الجملة تشيع حواليه ، ويتسع
نطاقها دونه ، فسمعها من حوافر الدواب ، ومن حفيف
الشجر ، ومن كل ذى حركة او نامة فى عرض الطريق ...

فاذا مر به احد من الناس ، فالقى عليه السلام ، او كلمه في بعض الامر ، حسبه يردد تلك الجملة التي تحاصره ... وكذلك انقلبت الدنيا بأسرها أفواها تنهى اليه عوده ابنته « حليمة » ، فهو يسمع النبأ رنيناً في هيكل جسمه ، وهو يحسه اصداً تتجاوب بها جوانحه !

وظل الرجل يتخبط في مسيره على غير هدى ، وفي وجهه علائم قلق واضطراب تثير الاشفاق ، وعن له ان يتوخى القهوة ، عسى ان يسرى عن نفسه بالجلوس فيها بعض ساعة ، فحث خطاه اليها ، كانه منها على موعد يخشى ان يفوته ، فلما بلغها طلب قدحا من القهوة ، وقصبة من الدخان ، ولكنه لم يجد للقهوة مذاقا طيبا يرضاه ، وكاد دخان القصبة يخنق انفاسه ، فانحى على غلام القهوة تائباً وملامة ، ورمى اليه بالقدرح وبالقصبة في سخط وحنق ، ونهض من فوره يطلب الفرار

وانتهى به السير الى رأس التربة ، فاقعد حائتها يتأمل في مائها الرقراق ... فاذا هو يذكر حياة ابنته في القرية ، كيف كانت في عصر الطفولة ؟ كيف كان يحملها معه الى السوق ؟ كيف كان يجلس اليها ليحكى لها طرائف القصص ؟ كيف كان يلحظ من شأنها انها غريرة طيبة القلب لا تعرف الدهاء والكيد

ويل للناس من الناس !

لو كانت « حليمة » من اولئك البنات اللواتي يعرفن اللؤم والخبث ، لما استطاع احد من الاوغاد ان يخذلها وان يريد لها على غير ما يجمل بها ان تفعل ، ولكنها وقعت

فريسة الخديعة والمكر ، وهى بريئة النفس ، سليمة النية ،
مطواع !

انها توشك ان تلفظ النفس الاخير ، وانها لترجع تائبة
لأدمة تبغى ان تموت بين ذراعى ابيها الحنون ، وانها الآن
فى بيت « أم الخير » تنتظر من الاب ان يعطف عليها بنظرة
... بذلك تحدثت « أم الخير » الى سيدها الشيخ « صفوان »
لتقنعه بان ينثنى عن عزمه ، وان يغفر لابنته ماسلف ، ولكن
هيهات ! ...

وسلك الرجل طريقه الى بيته ، ليسكن اليه فى ساعة
الظهيرة ، بيد انه الفى نفسه على غير قصد حبال بيت آخر
يعرفه حق المعرفة ... واذا هو بالباب مقيد الخطو لا
يستطيع البراح
واراد أن يقول :

- اين انت يا « أم الخير » ؟

فخانه صوته ، واذا هو يصرخ من اعماق قلبه :

- اين انت يا « حليلة » ؟

وسمع صوتا ضعيفا يجيبه :

- انا هنا يا ابنى !

فاقتحم الباب وهو يركض ، ووضع له شبح هزيل على
الارض ملقى ، فارتمى عليه يناجيه :

- « حليلة » يابنتى ... « حليلة » يا حبيبتى !

واشترك كلاهما فى بكاء وانتحاب ، ثم اخذ الرجل ابنته
المتحيرة فى حضنه ، فاستشعرت هدوءا يغمر نفسها
الحيرى ، ودبت فى جسمها الحياة من جديد ، فتعلقت بصدر

أبيها كأنما تخشى أن تفقده من بعد ، وظلا معا صامتين
يتركان لروحيهما أن تتلاقيا وأن تتصافيا في غير جلبة ولا
ضجيج ، وأسبل كلاهما عينيه ، فاستخفى من حوليهما كل
شيء ، وانسل بهما الزمن فترة ، يسمح عنهما ما خلفته
لهما الايام من خزي وآلم ، ويردهما الى عهد نضر كله
بشاشة وبهاء

وهمهم الاب يقول :

— سنذهب معا الى السوق لننتقى من الحلوى ما تحبين
... هالك الجاموسة فخذى زمامها وقوديهما الى حيث
تسائين !

فاجابت « حليلة » في صوت كأنه خطرات النسيم :
— السوق ... الحلوى ... الجاموسة !

ثم غشيها الصمت لحظة . وما لبثت أن عادت تهمهم :
— هلا رويت لى يا أبى قصة من قصصك المحببة ...
وتراخت اوصال الاب وابنته ، وملكت عينيهما غفوة
حالة ... واذا الرجل يقول :

— ... كان ما كان ، يا سادة يا كرام ، لا يحلو الحديث
بذكر النبى عليه الصلاة والسلام ... كان الشاطر «حسن»
يحب « ست الحسن والجمال » ... !

وقبيل مغرب الشمس ، خرجت من بيت « أم الخير »
جنازة ضئيلة ، متخذة في سيرها الى ربوة المقابر طريقا غير
مالوف ، حتى لا تتناهبها العيون !

وعاد الشيخ «صفوان» الى داره فى دجوة الليل ، بعد
أن نفض يديه من تراب ابنته ، وهو يردد :

— سبحان الحى الذى لا يموت —

وفى الظهيرة من غد ، نودى لصلاة الجمعة ، فقصد الشيخ «صفوان» مسجد القرية ليؤدى الصلاة مع الناس ، وصعد الخطيب منبر المسجد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم انبرى فى خطبته يحث المؤمنين والمؤمنات على الصون والعفاف ، ويذكر ما أعد الله للمفرطين والمفرطات فى الاعراض من انكال وجحيم ، وطعام ذى غصة وعذاب اليم ...

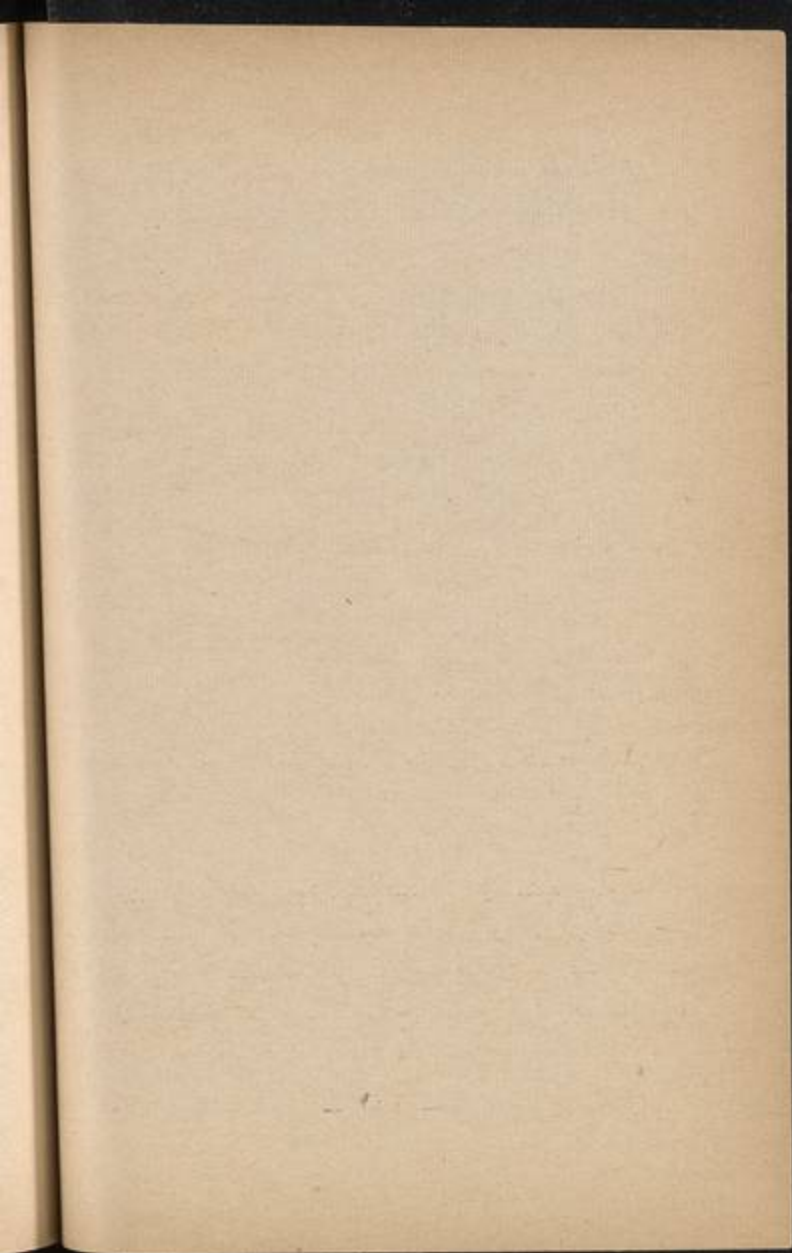
وهنا التهبت مسامع الشيخ «صفوان» وهو ينصت للخطيب المتحمس ، والفى نفسه يصيح بأعلى صوته :

— ليس لك ايها الرجل ان تتحكم فى مصير الناس... انك لا تدري من العاصى ومن المطيع ... الله وحده يعلم السرائر وما تخفى القلوب ...

فأمسك الخطيب عن الكلام يتبين من الصائح ؟ واجتمع الناس على الرجل يسكتونه ، فراح يتابع قوله محتد النبرات :

— الناس كلهم منافقون .. لا اريد ان يتكلم عن ابنتى احد ... انها طاهرة الذيل ، طيبة القلب ... لقد ماتت بين يدي تائبة ..

واختلط منطقهم ، وزاغت عيناه ، وتشنجت اوصاله ، فدفعه الناس الى باب المسجد دفعا ، وما أن بلغه حتى خارت قواه ، فسقط على الارض يهذى ، وعند رأسه صديقه الشيخ «موهوب» يروح له وجهه ، ويمسح الزبد الذى تساقط على جوانب فمه ...



ساق من خشب

كيف يشقى وبجانبه من
لا يشاطره الشقاء ؟ أن غريزته
لتريده على أن يحس غيره بما
يحس من آلام ، فتسكن ثأثرته ،
ويسعد ... بشقائه !

بشنو قل

و سیدالشهدا و سیدالمریدین
در سال الفیضه و الفیضه
در روزهای دوشنبه و سه شنبه
در روزهای دوشنبه و سه شنبه
در روزهای دوشنبه و سه شنبه

في حي « الحمزاوى » كان يقوم المنزل الصغير المتواضع الذى أمضيت فيه عهد الطفولة والشباب ، وكان قبالة المنزل حانوت لتجليد الكتب ، نشأت أراه فى شكله العتيق عليه غبرة ، وقد كسيت وجهته كلها بأبواب كثيرة النوافذ معتمة الزجاج ، على أن أغلب الواحها الزجاجية قد تحطم فاستبدل به الورق المقوى

واذكر انى كنت بادىء بدء - وأنا طفل - أرهب هذا الحانوت ايما رهبة ، ولا أخاله الا جبا تؤمه العفاريت ... اذ كان ظاهره اقتم عليه سيماء العبوس ، وكان مدخله حالك الظلمة ، لا اتبين فيه الا اشباحا تتراقص فى جيئة وذهوب

بيد انى سكنت على مر الايام الى مرآه ، وتعرفت من يعمل فيه

هما اثنان : رجل و غلام ...

أما الرجل فهو صاحب الحانوت ، اسمه «محمد عوف» له قامة مديدة ممتلئة ، وصدر عريض مفرطح ، وذراعان مفتولان ، ووجه مستدير مشرب بحمرة ، وشارب فاحم غزير ... على هذه الصفة رأيت أول مرة ، وظللت أراه عليها خلال الفترة التى قضيتها فى الحى معه ، بل لقد كنت أجده يزداد على السنين من فتوة وقوة ، ويتوهج فى عينيه ذلك البريق السحرى الذى يسلطه على الناس ،

فيرهبون سطوته ، ويخشعون لسلطانته

وأما الغلام فاسمه « عبد العزيز » وهو صبي صاحب الحانوت ، يساعده في عمله ، ويؤدي له مطالبه ، وكان في نحو الخامسة عشرة من عمره ، ولكن من يراه في ضموره وقصر قامته يحسبه لم يبلغ عامه العاشر . وكان متناول الوجه ، كاسف اللون ، ذاهل العين ، موصول الصمت . . . إذا مشى أمامك مشيته الراتبة ما شككت لحظة في أنه دمية من الخشب تتحرك بلولب . . . وقد نشأ هذا الغلام يتيما فاقد الرعاية ، فكفله المعلم « عوف » في بيته ، وعلمه صناعة التجليد في حانوته ، والزمه ظله كالآلة الطيعة يحركها كيفما شاء دون عناء

وتم بينى وبين الغلام تعارف ، إذ كان يجلس بعض وقت على دكة خشبية بجانب الحانوت يستريح ، فإذا صادفته كذلك في أوبتى عصرا من المدرسة ، ذهبت إليه ، فشاركته مجلسه ، وجاذبته القول ، وكنت أسأله عن شأنه فيوجز الجواب

ولما استوثقت الصداقة بينى وبينه ، جعلنا نتهادى مختلف الأشياء ، أشركه فيما أشتري من صنوف الحلوى أو المرطبات ، ويقدم هو الى بعض دفاتر صغيرة يصنعها بنفسه من قصاصات الورق التى تتجمع فى الحانوت من بقايا أعمال التجليد ، وكثيرا ما كان يطبع اسمى بماء الذهب على بعض كتبى المدرسية

وبينما أنا خارج من منزلى بكرة يوم التمس الطريق الى المدرسة ، إذ الفيت « عبد العزيز » فى منصرفه من

الخانوت ، على غير عادته ، وهو ممتقع الوجه ، كليل النظر
يكسو عينيه ذبول ... فعجبت من أمره ودنوت منه أسأله :

— ماذا كنت تصنع في الخانوت يا « عبد العزيز » ؟

فاجابني شارد النظرات ، كأنه في أعقاب حلم :

— لقد قضيت ليلتي في الخانوت ؟

— وحدك ؟

— نعم

— في هذا الجب المخوف ؟

— نعم .. وبلا نور !

— ولم سجننت نفسك هذا السجن الفظيع !

— بذلك امرنى معلمى

— ألم تخف ؟

— لقد كلفنى أن اقضى الليل ساهرا ففعلت

— ولماذا ؟

فأطرق يهمهم :

— عاقبنى على اهمال منسوب الى

فحاولت أن استزيده ، فاقتضب الكلام ، كأنه ليس

عنده ما يقال ...

وترايل عنى ما كنت استشعره من فزع لهذا الخانوت ،

فقد دخلته أزور صديقى فيه أثناء مفيب معلمه عنه ، وكانت

الظلمة لا تنجاب عن أرجائه حتى فى رائحة النهار ، وكنت

أأخذ مجلسى قريبا من الباب على مقعد خشبى انظر الى

« عبد العزيز » وهو يعمل ، وأتحدث اليه فى الفينة بعد

الفينة ، فيبادلنى الحديث فى اختصار واقتصار ، على حين

يرتب الكتب على منضدة التجليد ، ثم ينزع عن كل كتاب غلافه ، ويخطه على اسلوب فنى اشبه بالنسج على المنوال وكانت نفسى تهتاج اذا رايتة يعمد الى قص اطراف الكتب بالآلة القاطعة ، وهى ذات شغرتين عريضتين مسنونتين تعملان فى اطراف الكتب ما تعمل المقصلة فى رقاب المجرمين ولشد ما كنت ارهب هذه الآلة واتكب عن مكانها فى الحانوت ويوما قلت « لعبد العزيز » :

- الا تخشى على نفسك من هذه الآلة القاطعة ؟
- فعبرت فمه ابتسامة ، وأجاب ويده تلاطف حديدها :
- وفيم الخوف ؟ انها صديقتى التى لا تؤذينى
- وماذا يكون الامر اذا انطبق حدها على يد انسان ؟
- لا ريب انها تقطعها فى الحال
- أحدث شىء من هذا لاحد من العمال ؟
- ربما حدث .. فى النادر !

وجاء يوم عرفت فيه المعلم « محمد عوف » نفسه صاحب الحانوت ، فأغرانى اول الامر بتجليد بعض الكتب المدرسية ، ثم جعل يتولى تجليد ما عندى من كتب روائية وكنت بالقصص مشغوفا ايما شغف ، ولما نضب هذا المعين لم اجد الا الدفاتر والكراسات اكل اليه تجليدها ، والرجل يواصل اغراءه لى ، وكنت لا استطيع لنفوذ نظرائه وخلافة اقواله ان ارد له مطلباً ، او اعصى له نصحاً ...

والفت بعد ذلك الا آنس بالكتاب اذا كان غير مجلد ، واصبح ذلك هوساً تمكن من نفسى واستحكم ، ومازلت حتى الساعة اشعر بشىء من سلطانه على

ولزام أن انصف المعلم « عوف » فأشهد له بالنبوغ في فن التجليد ، اذ كانت له فيه أساليب مبتكرة تدل على شدة حذق وصفاء ذوق ، ولذلك اتصلت معاملتي له ، فلم أتركه الى غيره ، حتى بعد أن اتممت الدراسة ، وخرجت الى غمرات الحياة

وكان مبلغ علمي أن المعلم « عوف » يتخذ له مأوى في منزل صغير عن كثر من الخانوت ، لا يساكنه في مأواه الا صبيه « عبد العزيز » ، اذ توفيت زوجته منذ أعوام ، ولم يكن له منها ولا من غيرها عقب ، فعاش فردا مع صبيه لا يكاد يزور قريبا أو يزوره قريب

وطوحت بي ضرورة العمل الى « الاسكندرية » ، فنقلت اليها أسرتي ، ومكثت هنالك زهاء خمس من السنين ، لم أهبط خلالها « القاهرة » مرة

وقدر لي بعد ذلك أن أعود ، فاتخذت في « القاهرة » مسكنا في غير الحى الذى شبيت فيه ، ولكن سرعان ما خطر لى أن اقصد ذلك الحى القديم ، وأن أزور فيه صديقى المعلم « عوف » وصبيه « عبد العزيز » ، وأن أحمل معى مجموعة من الكتب للتجليد ، وما أن طرقت الخانوت حتى لمحت « عبد العزيز » وحده فيه ، وقد بدت عليه سيمااء الرجولة فنبت له شارب ، بيد أنه ظل على حاله ضامر العود ، مهزول الاوصال ، جهم السحنة ، فلما رأنى خطا نحوى خطواته الآلية ، يمد الى يده الصلبة ، وعلى فمه ابتسامة باردة ، فهششت له ، وأقبلت عليه اصافحه ، وصحت به :

— أمازلت فى الخانوت يا « عبد العزيز » ؟

- وهل خطر ببالك يا سيدى ان اتركه ؟
 - حسبتك أصبحت معلما له حانوت وصبيان
 فقفر فاه مدهوشا يقول :
 - انا أصبح صاحب حانوت ؟ انا اترك معلمى ؟
 - انظر صبيا طول عمرك ؟
 فقبل يده ظهرا وبطنا ، وقال :
 - الحمد لله على كل حال !
 فقلت له وأنا ابصر نظراتى فى الحانوت :
 - واين المعلم « عوف » ؟
 فاكتسى وجهه بسحابة كدراء ، واطرق لايحيب ، فعجبت
 من امره ، وقلت اسأل :
 - ماذا ، لا قدر الله ؟
 فرفع « عبد العزيز » رأسه ، وقطرات الدمع تحبو على
 خديه ، واجابنى مختنق الصوت :
 - انه مريض يا سيدى
 - وهل مرضه مميت ؟
 - كلا ...
 - اذن فيم بكائك ؟
 فدنا منى وأخذ بيدى يشد عليها وهو يهمس :
 - لقد أصبح كسيحا يا سيدى ...
 - كسيحا ؟ .. وكيف ؟
 - سقط من « الترام » سقطة بترت ساقيه !
 - يا للهول !
 وامسكت عن الكلام لحظات ، وأنا أفكر فى شان هذا الرجل

المنكود ، وفيما يعانیه الآن من ذلة وانكسار ، وقد كان ذلك الجبار الذى يبث الهيبة حوله أينما سار ورفعت بصرى الى « عبد العزيز » أسأله محزون النبرات :

— اما زال يسكن فى منزله القريب من الخانوت ؟

— مازال يا سيدى ...

— اريد ان ازوره .. هل لك ان ترافقنى ؟

— انا طوع امرك

وخرجنا من الخانوت ، وتوخينا منزل المعلم « عوف » ، يتقدمنى « عبد العزيز » ليدلنى على الطريق ، فما اجتزنا الباب حتى صعدنا سلما من خشب ، أفضى بنا الى ردهة صغيرة معتمة تنبعث منها رائحة تزكم الانف ، ولم اكد انخطى عتبة القاعة حتى انتهى الينا أنين كأنه زمزمة الاسد الحبيس ، فالفيتنى امسك عن السير ، وقد تمشت فى نفسى رهبة ، وملت على مرافقى اهمس :

— هو ذلك الذى يتوجع ؟ ...

فاوما براسه ، وساقنى الى مخدع معلمه ، فاذا الرجل مستلق على حشية عريضة ، وقد احاطت به وسائله ، فتقدمت اليه اصابحه وأقول :

— الحمد لله على سلامتكم يا معلم ..

فلاطف يدي يشكر لى ، وفمه ترسم عليه ابتسامة كئيبة ، وغمغم خشن الصوت :

— الحمد لله .. الحمد لله !

وكانت الحجرة ساطعة الضوء ، فاستطعت ان ارى الرجل

حق الرؤية ، وأن لاحظ ما طرأ من تغيير عليه ، لقد ضخّم جسمانه ، وترهل جلده ، وبدت لحيته كثة مهوشة . ولكنه مع ذلك متورد الوجه ، بارز الصدر ، مفتول الذراعين ، أما عيناه فهما على نحو ما كانتا من قبل ، بل لقد ازدادت مقلتاها من توقد واضطرام

ولبت الرجل يرحب بى ، ويسألنى عن مفيبى ، ثم انطلق يقص على ما كان من نبأ الحادث الذى أودى بساقيه ، وكان « عبد العزيز » فى أثناء ذلك قد صنع القهوة وجاء بها الى ، ولما فرغ المعلم من حديث الساقين استأنف يشكو ويتذمر ، فيقول :

— لقد أصبحت لا أطيق الحياة .. انى فى سجن كرية أمضى ما بقى لى من أيام ... لماذا لم يقض « الترام » على كل القضاء ؟ ...

ورمى الرجل بنظرة من عينيه الى « عبد العزيز » وهو يشير اليه فى عنف ، فرأيت الفتى ينتفض من فزع ، ويحنى رأسه فى خضوع ، فجعل المعلم يقول :

— وهذا .. هذا الواقف امامك الذى تعبت فى تربيته وتعليمه حتى صار رجلا يفخر بنفسه وبصنعتة ، هذا الذى ظننته ابنا لى يعرف حق أبوتى ، أو قريبا لى يعرف واجب القربى ... لقد انكشفت حقيقته امامى ، فاذا هو جاحد فضلى عليه ، منكر جميلى له .. أقسم انه مسرور بما أصابنى ، وانى لاقرأ السرور فى عينيه .. انه يرقبنى وأنا اتنقل من مخدعى أزحف على يدي ، فتمتلىء نفسه شماتة بى ، وكأننى أسمعهم يقول : « أزحف على يدك ،

فقد أصبحت بلا ساقين ! » ... ويحك من دنىء يا « عبد العزيز » ... ولكن لماذا لاتتعالى على ، ولك ساقان سليمتان لعلك تفكر فى ان تركلنى بهما ؟ ... تعال افعل ، ولا حرج عليك ! .. الست الامر الناهى فى منزلى ؟ الست سجانى ؟ تعال اقدف بى من هذه النافذة ، فقد أصبحت لا املك عن نفسى دفعا ... وماذا أستطيع وانا مبتور الساقين ؟ انى لاجدك شديد التباهى بنفسك يا محدث النعمة ، وأراك تسير مختالا كأنك تقول لى : « أين انت ايها الكسيح منى انا الصحيح ؟ راسك الى الارض وانت زاحف . ورأسى الى العلاء وانا أسير ! » ...

ولبت فمه يتدفق بهذا التأييب والتقرير ، وانا فى لجة من الدهشة ، لا ادرى كيف اهدىء روع الرجل وأسرى عنه ، أنظر اليه تارة فاراه كالبركان الثائر يقذف بالحمم ، وأرجع النظر كرة الى « عبد العزيز » فاذا هو كالعود النخر يوشك ان يتهاوى ...

ووقفت اودع المعلم « عوف » وأرجو له سكينه النفس ورخاوة البال ، وما هى الا ان هرولت اغادر هذا السجن الموحش ، وقد بنيت عزمى على الا اطا له عتبة من بعد .. وانقضت اسابيع وانا اتمثل شبح الرجل الكسيح فى لحيته الشعشاء ونظرتة النكراء ووجهه الملتهب ...

واعجب ما كان من امرى انى احسست شعورا دفيناً يلح على ان اغاود زيارة الرجل ، وعبثا حاولت اقضاء هذا الشعور عنى ، فاقلتنى سيارة الى الحانوت ، وهنالك تبينت « عبد العزيز » حيال منضدة التجليد يعمل ، وقد رانت

على وجهه صفرة شاحبة ، وبدا كأنه غصن ناحل ذهب
بنضرتة جدوبة الخريف . فابتدرته أسأل :

— كيف حال المعلم ؟

— أسوأ حال

فتبعته الى منزل الرجل أزوره فيه

ولم أحمد هذه الزيارة ، كما كان شأنى فى الزورة الاولى
بل لقد خرجت هذه المرة انعى على نفسى ضعفها فى مطاوعة
ذلك الشعور الغامض الذى قادنى الى رؤية هذا الرجل ،
والى سماع ما يصبه على الناس اجمعين من حسد وبغض ،
وما يخص به صبيه « عبد العزيز » من شكاية وزرابة
واستنكار ، وفيما أنا منصرف عن الرجل ، حانت منى
التفاتة الى « عبد العزيز » فالفيته غائم العينين يذرف منهما
الدموع الفزار

وعلى الرغم منى كررت زيارتى لهذا الرجل الناقم ، وفى
كل مرة اخرج من عنده حائقا على نفسى وعلى العالم كله ،
وملء جوانحى تقزز ونفور ، كانى اخرج من قبر راعتنى
فيه جيفة عفنة لا تطاق

وكان « عبد العزيز » على توالى الايام يستبد به الهزال
وتجحف عيناه جحوظا يجعله اقرب الى الشبح المخيف ،
وكانه هيكل عظمى يتحرك لينشر الرعب من حوله على
من يراه ...

وفى اخرى زيارتى لصديقى البفيض المعلم « عوف »
صادفته يتقلب على فراشه كالمسوع ، وفمه يهدر بلعنات
جياشة ، وقد اخذته نوبة شيطانية من الضجيج والعجيج

فامتدت عدوها الى ، وشعرت بالنار تسرى في اوصالى ،
واذا انا احس رغبة عارمة في الصراخ والتدمير ...
وانقلب الرجل ثورا هائجا يعض الوسائد ويمزقها
بأسنانه ، ويبعثر قطعنها في أرجاء الحجرة ، فاعترانى خوف
شديد ، وهممت أن اهرب من وجه الثائر المهتاج
وسرعان ما سمعت صوتا ابح ، واذا هو « عبد العزيز »
يتلوى بجوار الباب ، ووجهه جمرة تتضرم ، ويده تلوح
بقوله :

— كفى يا معلم .. كفى !

وخرج يقفز ، فقفزت اثره بلا وعى ، وادركته يجتاز
باب المنزل كالسهم المارق ، ويمضى صوب الخانوت ...
فتمهلت في مسيرى استعيد رباطة جأشى . ولما قاربت
الخانوت سمعت من جوفه صرخة مدوية اقشعر لها بدنى
وتسمرت قدماى ، فوقفت لحظات لا املك لنفسى رشدا
على انى تدانيت من باب الخانوت اتشجع ، والقيت من
خلف الزجاج نظرة ، فلم يبع لى الظلام عن مكنون .
واستطعت أن اقتحم الباب ، فرايت على خطوات منى
مشهدا ممضا لا انسى فظاعته ما حييت ، ذلك هو « عبد
العزيز » ملقى على الارض بجوار الآلة القاطعة للورق ، والدم
ينهمر حواليه ، وساقاه على مقربة منه ، منفصلتان عنه !
فاما ما كان من بعد ، فقد انتهى كل شئ على خير مايمكن
أن يكون ...

أسعف « عبد العزيز » بالعلاج ، وعاد بعد أسابيع الى

الحانوت ، يتحامل على مسندين خشبيين ، ليزاول عمله
امام منضدة التجليد ، كأن لم يحدث له حادث يذكر !
وقد سكنت ثائرة المعلم « عوف » فلم يعد يبدي من
شكاية او تدمير . بل لقد عراه انقلاب ، فأصبح وادع النفس
يهش ويهش ، ونشط للعمل ، فترك سجنه في المنزل ،
وخرج الى الدنيا يستقبل الناس ويبادلهم الود ، وقد
استبدل بساقيه المبتورتين ساقين انيقتين من خشب !



رهان

ربما أساء اليينا أحد ، فلاندرى
ما الذى نحسه نحوه ؟ أهو شعور
كره ؟ أم عاطفة اشفاق ؟

« سليم افندى » طالب فى مدرسة « الذكاء المصرى » الثانوية ، عرف بين اخوانه بميله الى الادب العربى ، وجودة أسلوبه فى كتابة موضوعات الانشاء . وكان من بين زملائه تلميذ اسمه « مجدى » لا يفتأ يحسده على مكانته التى نالها ، ويأبى ان يعترف له بها ، وان كان يتظاهر بصداقته وكثيرا ما يجادله فى شئون تافهة ، يتشبهت فيها « مجدى » براه ، مع وضوح الحق فى جانب رفيقه ، و « سليم » لا تغيب عنه دخيلة زميله ، ولكنه لا يبالى ضفينته ، اذ كان قائما باخلاص صديقيه الحميمين « حسين » و « على » والاربعة الرفاق يلزم بعضهم بعضا اكثر الوقت فى الفترات يتذكرون معا فى بيوتهم على التناوب ، لكل بيت يوم . . الفول القريب من المدرسة . فاذا ما اقترب الامتحان الفيتهم يتذكرون معا فى بيوتهم على التناوب ، لكل بيت يوم . . ترك « سليم » المدرسة ، يوما من الايام ، متأبطا محفظته وقصد محطة الترام ليركب عائدا الى منزله ، وطال مكثه على غير جدوى ، اذ تأخر الترام عن مواعده ، فضجر ومربه بائع الصحف ، فاستوقفه ، وجعل يتصفح مجموعة من الجرائد والمجلات ، وفيما هو يبحث ، عثر على صحيفة لم يكن قد رآها قبلا ، اعجبته لاحتوائها على كثير من النبد الادبية ، وهى تسمى « راية العرب » فاشتراها . وقدم الترام فركبه ، وقطع الوقت يقرأ ما راقه من الموضوعات

وقد لا حظ ان بعض المقالات مذيّل بأسماء بعض الطلبة
وعاد « سليم » الى منزله ، وهو مقتبط بصحيفته ،
ودخل حجرته ، وما لبث ان شعر برغبة ملحة تدفعه الى
الكتابة ، ولكن فى أى شىء يكتب ؟ لقد اضطربت الموضوعات
فى رأسه ، فلم يدر ايها يختار ؟ وطفق يسير فى الغرفة
ويداه الى ظهره ، ثم وقف امام النافذة يتأمل جنبات
الطريق ، فاسترعى بصره منظر يصلح ان يكون موضوعا
طريفا لمقالته ، فاستل القلم ، ومضى يكتب . . . وطالت
على هذه الحال جلسته ، لم يغير موضعه ، ولم يرفع بصره
عن اوراقه ، حتى استكمل موضوعه . وحينئذ وضع القلم
جانبا ، وراح يمسح وجهه بمنديله . ونظر حوله ، فالفى
الحجرة موحشة بدات جحافل الظلمة تحتلها . وعاد الى
مراجعة ما كتب ، فافتقر ثغره عن ابتسامة رقيقة . .

وبينما هو كذلك ، اذ الباب قد انفرج ، وظهرت « دلوعة »
شقيقته الصغرى . . . رآها تدخل فى محاذرة وتلصص
فاختبأ خلف الستارة ، فوجدها قد انطلقت تجمع بعض
الاوراق من مكتبه ، فأضاء الحجرة على الفور ، وخاطبها
فى لهجة عنيفة ، قائلا :

— ألم انبه عليك الا تدخلى حجرتى ، ولا تقربى مكتبى ؟
فأرتج على الفتاة بادىء بدء ، ثم ما لبثت ان استعادت
شجاعتهما ، وقالت :

— لقد اتيت لانظف مكتبك !

— كذابة !

- والله العظيم لقد ...
 - لا تحلفى بالله كذبا يا « دلوعة » ... انى اعرف لماذا
 اتيت ... جئت لتسلبى مكتبى اوراقه !
 فنكست الصبية راسها ، وواصل « سليم » حديثه ،
 قائلا :
 - تاخذين اوراقى لتلعبى بها .. وهل انسى ما فعلته
 بكراسة الانشاء ؟
 فنظرت اليه فى استكانة وضعف ، وغمغمت :
 - وماذا فعلت بها ؟!
 - جعلت من بعض اوراقها لفائف ملأتها باللب والحمص
 ووزعتها على صويحباتك !
 - اؤكد لك انى لم ..
 - قلت لك لا تكذبى ... واخذت تعبثين بالورق الباقي
 فقصصته على اشكال عرائسك .. !!
 والتفت الى الاوراق التى كانت تجمعها ، ثم قال وهو
 يعيد ترتيبها :
 - واليوم وقع اختيارك على مذكرات التاريخ والجغرافيا
 ما شاء الله .. !
 ومد يده ليعرك اذنها ، فاذا هى قد اندفعت تبكى ، وهى
 تستغفره متدلة ، فهمس :
 - كم من مرة بكيت واستغفرت !
 فصاحت الفتاة وهى تشهق :
 - ستكون هذه آخر مرة ، والله العظيم !
 ومشيت اليه ، وتشبثت ب صدره ، وهى مازالت تبكى

فمكث « سليم » لحظة صامتا ، ثم شعر بنفسه يحتضنها ويربت ظهرها قائلا :

— عفوت عنك ، على شرط الا تعودى الى مثل ما فعلت
— لن اعود الى ذلك ابدا !
وخرجت تجرى ..

وتنهذ « سليم » وهو يتبعها بنظره ، ثم عاد الى مقالته
فقرأها وهو جد مغتبط ، ورأى انه لم يختار لها عنوانا بعد ،
فرجع الى النافذة ، وشرح بصره في الطريق المغمور بأشعة
القمر .. لبث على هذه الحال ساعة ، ثم خالجه نشوة
من الفرح مفاجئة . وهرع الى المقالة يكتب في رأسها :
رضيع يتالم !

غادر « سليم » منزله مبكرا في صباح اليوم التالى ،
وقصد من فوره صندوق البريد فأودعه مقالته .. ومن
ثم اتخذ طريقه الى مدرسته ، وقضى يومه رخي البال ،
وتعرف اصداقؤه في وجهه ابتهاجه ، فطفقوا يسألونه :
ما الخبر ؟ فراوغهم ، ولم يكشفهم بحقيقة الامر . ولكنه
في مختتم النهار ، حينما كان خارجا من المدرسة مع
صديقه « حسين » ، الفى نفسه مندفعاً يسر الى الصديق
قوله :

— لقد ارسلت اليوم مقالة لجريدة «راية العرب» فماريك
في ذلك ؟

— فكرة رائعة اهنتك عليها !

— اشكرك ..

— وما عنوانها ؟

- « رضيع يتألم » .. قطعة عاطفية وصفية !
 - لقد احسنت صنعا باختيار الكتابة في هذا النوع ،
 فانك نابغ فيه ..
 - اتظن ذلك ؟
 - بل اعتقد .. هل لك ان تطلعنى على مسودة المقالة ؟
 - سأقرأها لك ..
 وانتبذا ناحية بمعزل عن اعين التلاميذ ، وشرع « سليم »
 يقرأ لرفيقه المقالة ، وما كاد يتمها حتى صاح « حسين » :
 - تحفة فنية غالية يا صديقى .. اقسم بالله اننى لم اقرأ
 قطعة في الصحف الادبية تفوق قطعتك هذه .. اهنتك
 يا صديقى !
 فلمعت عينا « سليم » وقد عقد التأثر لسانه ، وسار
 الصديقان الى محطة الترام ، ويد احدهما في يد الآخر ،
 والتفت « سليم » الى صاحبه وقال له :
 - الم تر بعد « راية العرب » ؟
 - كلا !
 فننادى « سليم » بائع الصحف ، واشترى منه نسختين
 من الراية ، فأعطى واحدة لرفيقه وقال له :
 - صحيفة راقية ذات موضوعات ادبية رائعة !
 وجاء الترام ، فتصافح الصديقان ، وصعد فى المركبة
 « سليم » ملوحا « لحسين » تلويح الوداع
 وقضى « سليم » الوقت فى الترام ، وهو مسترسل فى
 احلام هنيئة ، يبنى لنفسه مجدا عاليا فى عالم الصحافة
 والادب . وما ان دخل البيت حتى هرع الى مربيته العجوز

وشرع يحتضنها ويقبلها ، ثم همس في أذنها :
- لقد بعثت مقالة الى صحيفة « راية العرب » !
فأصاحت اليه المرأة ، وهي لا تفهم شيئا .. وواصل
الفتى حديثه :

- انها صحيفة ادبية راقية ، وستظهر مقالتي في العدد
الآتى .. لقد اكد لى « حسين » انها مقالة رائعة !
وانبعث يحدثها عن المقالة والصحيفة وصديقه « حسين »
ولما تبين له انها لم تع من قوله كثيرا او قليلا ، تركها وانزوى
في حجرته

وفي غده شاعت بين الرفاق في المدرسة حكاية المقال ،
اذ لم يملك « حسين » ان يكتم الخبر . فلما ظهر بينهم
« سليم » اقبل عليه الزملاء يستجلونه الامر ، فانطلق
يحدثهم عن المقال فى اسهاب . وحضر بعد قليل « مجدى »
وجعل يتسمع ما يدور بين الرفاق من الحديث ، فما عرف
انه دائر حول مقالة « سليم » حتى ارسل ضحكة سخرية ،
ختمها بقوله :

- ان امثال هذه القطعة الانشائية لن يكون نصيبها الا
الاهمال !

فابتسم « سليم » واقترب من « مجدى » ولا طف كتفه
وقال :

- واذا نشرت مقالتي يا صديقى ، فماذا انت فاعل ؟
فأسرع « مجدى » يقول :

- اراهنك على ان مقالتك لن تنشر !

- تراهننى على ذلك ؟ .. حسنا !

فتوسط « مجدى » الحلقة ، وقال جهير الصوت :
- اذا نشرت المقالة ، فسوف ادفع « لسليم » نصف جنيهه
واذا لم تنشر ، دفع هو هذا المبلغ الى
فصاح « سليم » :
- قبلت الرهان !

ودق الناقوس ، فتأهب الاصدقاء لدخول الفصول ،
وهم يتبادلون الحديث فى ذلك الرهان العجيب .. !
واخذ « سليم » يترقب ظهور « راية العرب » فى ايام
الخميس والاثنين ، اذ كانت الصحيفة تظهر مرتين فى هذين
اليومين من الاسبوع ، ولكن لتعس حظه لم يجد اثرا
للمقال ..

وانقضت ثلاثة اسابيع ، والقلق يزدحم فى قلبه ، والهـم
يتكاثر عليه ، وكان « مجدى » يشتري الصحيفة ويأتى
بها الى المدرسة ، باسطا اياها امام « سليم » وبقية الرفاق
وهو ينادى بأعلى صوته ، محاكيا لهجة بائع الجرائد :
- راية العرب ، ومقالة السيد سليم اليوم ... ملحق !
فيعلو الخجل وجه « سليم » ويشيع الكمد فى قسماته ،
ولكنه كان يظهر التجلد ، ويجارى « مجدى » فى هزله
ومجنونه !

وفات على الرهان شهر ولم تظهر المقالة ، وكان الرفاق
مجتمعين عن كئيب من باب المدرسة ، فى ركن اعتادوا
الاجتماع فيه . فجاءهم « مجدى » وقال :
- صبرت شهرا يا اخوانى ... ومن حقى ان اطالب
« سليما » بدفع الرهان !

فأجاب « سليم » بهدوء :

— أنت محق في طلبك هذا يا « مجدى » ... وسأعطيك المبلغ غدا ...

ثم التفت الى الجمع ، وقال :

— ولننس أيها الاصدقاء خبر هذه المقالة السخيفة التى شغلتنا شهرا بلا فائدة ...

وقال « حسين » :

— واذا ظهرت المقالة بعد ذلك ؟

فعاجله « مجدى » بقوله :

— لا يهمنى أن تنشر بعد اليوم ... لقد انتظرت شهرا ظهرت فيه الجريدة ثمانى مرات ... حسبى هذا ... !
وتكلم « على » فقال :

— فلترجىء البت فى الامر الى خروج العدد المقبل ، فاذا لم تكن فيه المقالة اجيب « مجدى » الى طلبه !

فوافق الجمع على هذا المقترح ، واهملوا ما ابداه « مجدى » من اعتراض ...

وكان اليوم التالى هو يوم الخميس ، موعد ظهور « راية العرب » . ففلت حماسة الرفاق ، وانتظروا بنافذ الصبر خروجهم من المدرسة ليشتروا الجريدة ، ويروا لمن من الزميلين كسب الرهان ؟

وخرج الرفاق زمرة واحدة ، ميممين محطة الترام ، وهرع « مجدى » نحو بائع الجرائد ، واشترى منه نسخة من « الراية » وفعل مثله « على » و « حسين » ... واكب

الثلاثة يتصفحون الجريدة بلهفة . وما هي الا ان صاح
« مجدى » :

— كسبت الرهان ... كسبت الرهان !
واخذ يطوح بالجريدة فى يده ، ويطوف بها على الزملاء ،
وهو يقول : لا اثر مطلقا لذلك « الرضيع المتألم » ايها
الاخوان ! ...

وشعر « سليم » كأن خنجرا ينفذ فى صدره ، فوقف
صامتا يقضم اظفاره ... واخذ بعض الرفاق الجريدة من
« مجدى » وتناوبوا تصفحها ، فلم يجدوا فيها مقالة الزميل
اما « حسين » فكان يستوعب صحائف الجريدة فى تؤدة ،
معنيا بكل ما تقع عليه عينه من المقالات والنبذ . وفجأة
سمعه الجمع يصيح :

— لقد عثرت على المقالة ... المقالة هنا ... !
وجرى نحو « سليم » وبسط الجريدة امامه ، وأشار
الى المقالة الافتتاحية قائلا :

— انها مقالتك ... هي بعينها ... خذ واقرأ ...
فتناول « سليم » الجريدة منه ، وانبرى يقرأ المقالة ،
وفى لمحة اضاء وجهه ، والتمعت عيناه ، وقفز الى « مجدى »
وهو يقول عالى الصوت :

— ها هي ذى مقالتي ... هي عينها ... انظر ...
انظر ...

فرمقه « مجدى » بنظرة غيظ ودهشة ، واخذ الجريدة
منه ، وراح يفحص عن المقالة ، واحاط الرفاق بالزميلين
المتنافسين ، وقد اشربت اعناقهم ... وبعد هنيهة رفع

« مجدى » عينيه عن الجريدة ، ونظر حوله ، ثم قال :
— لا أدري كيف ينتحل شخص لنفسه مقالا ليس مديلا
باسمه ؟!

ثم أدار نظره الى « سليم » وقال :
— أنت تدعى أن هذه المقالة لك ... فأين اسمك اذن ؟
فخطف « سليم » الجريدة من « مجدى » وبحث عن
اسمه فى عقب المقال ، فلم يجده ، فاختلجت حدقتا عينيه ،
وهمهم :

— أنهم لم ينشروا اسمى !
فقال « حسين » :

— هذا غريب جدا ... ولكن لم لا يكون سهوا ؟
فتقدم « مجدى » وقال :

— أن نشر المقالة ، خالية من اسم الكاتب ، يفيد أنها من
قلم التحرير ... فضلا عن ذلك فعنوان هذه المقالة ليس
العنوان الذى أخبرتنا به ، وهو : رضيع يتالم ... !
فثار « سليم » غاضبا ، وهو يقول :

— أنهم سرقوها ... سرقوها ، ونسبوها لأنفسهم
بلا تورع ... يالهم من أوغاد !

— هذا كلام واه لا ينهض به برهان ... أنت تتهم قلم
التحرير بالسطو على مقالتك ، لتسوغ موقفك ، أما أنا
فاتهمك بالسطو على قلم التحرير ، ونسبة المقال الى
نفسك ... !

— أنا اسطو على مقالة غيرى ؟ ... أتجرؤ على اتهامى
بذلك ؟

فاتجه « مجدى » الى الرفاق ، وقال يخاطبهم :
 - نحن هنا امام امر واضح يا اخوانى ... فاذا اراد
 « سليم » ان يثبت ان المقالة له ، فليقم على ذلك البرهان !
 فنظر الرفاق الى « سليم » فصاح :
 - تعالوا معى الى المنزل ... فاريكم المسودة !
 فغمغم « مجدى » :
 - نذهب الى المنزل لنرى المسودة ؟!
 - وما المانع ؟!
 - لا شئ ... لا شئ ... هيا !
 وركب الزمرة الترام ، ووصلوا الى المنزل ، وقادهم
 « سليم » الى حجرته ، وقصد على الفور مكتبه ، ومد يده
 فى المكان الذى وضع فيه مقالته ، فلم يهتد اليها ، فأعاد
 البحث وهو يمعن ويتفحص ، فلم يجد شيئا ... فعجب
 اشد العجب ، وانطلق يفتش فى كل موضع يصح ان يضع
 فيه المقالة التائهة ، فذهبت جهوده عبثا . وكان قد تصبب
 جبينه عرقا من الاعياء ، واكفهر وجهه من الحيرة ...
 وترك الحجرة ذاهبا الى الخادم العجوز ، فألقى عليها بضعة
 أسئلة فى عجلة واضطراب ، فعلم منها ان اخته « دلوعة »
 دخلت حجرته فى اثناء غيابه ، وجمعت منها رزمة من
 الاوراق . فجرى على الفور الى غرفة اخته ، واندفع يبحث
 فيها ويجد فى البحث ، فكان نصيبه هذه المرة ايضا الاخفاق
 فرجع يسأل الخادم : اين اخته ؟ فاجابته بانها ذهبت الى
 الخيالة (١) مع عمته ، فراح يضرب الارض بقدمه ، ويلوح
 بيده مهددا ، ويقول :

(١) السينما

— ستري ! ... ستري ! ...
واقبل على أصدقائه ، فأخبرهم بأن اخته قد دخلت
حجرتها في غيبته ، وعبثت بأوراقه ، وكان المقال فيما عبثت
به ... فأطلق « مجدى » قهقهة عالية وقال :
— ان أعذارك يا سيد سليم تدعو الى العجب ...
اجئت بنا الى هنا لتسمعنا هذا الكلام ؟!
والتفت الى الجمع ، وقال :
— الى منصرف ايها الاخوان ... والى اللقاء فى المدرسة
يوم السبت ... !

وهم بالخروج ، فاستوقفه « سليم » وقال له :
— عندى برهان آخر ... وارجو الا يخيب !
فوقف « مجدى » متبرما يقول :
— وما هو ؟

— ان نذهب جميعا الى ادارة « راية العرب » لأثبت لكم
ان المقالة بقلمى ، وليكن ذلك غدا ...
فاجاب « مجدى » فى شىء من الاهمال :
— لا بأس ... اذا كان هذا يرضيك !
— اذن فللقاؤنا فى مطعم الفول الذى تعودنا الافطار فيه
قريبا من المدرسة ... وليكن موعدنا التاسعة صباحا ... !



فى صبيحة الجمعة ، اجتمع الرفاق فى مطعم الفول ، وبعد
ان تناولوا فطورهم قاموا قاصدين ادارة « راية العرب »
وكان الجمع هذه المرة منقسما حزينين ، الاول لمناصرة
« سليم » والآخر لمشايعة « مجدى » ... وكان كل من

الحزبين يسير على حدة : حزب « مجدى » فى المقدمة ،
يصحبه اللفظ العالى والضحك المتتابع ، يتلوه حزب
« سليم » بهدوئه وتهامسه ...

واخيرا وصلوا الى ادارة « الراية » ، وكانت دارا متواضعة
ذات طبقتين ، لا تمتاز عن دور الازقة الا بلوح مكتوب فيه
اسم الجريدة ، معلق على جدار الدار ، لم تدع له الشمس
نضارته ...

وصادفوا الباب مفتوحا ، فدخلوا ولما لم يجدوا احدا
فى صحن الدار ، وقفوا متحيرين ، فتقدم « مجدى » نحو
السلم الواصل الى الطبقة العليا ، وجعل يصفق ، ثم رفع
صوته قائلا :

— يا اهل الدار ... الا يوجد احد هنا ؟

فسمعوا صوت خطوات ، ظهر على اثرها غلام على اعلى
السلم ، سألهم قائلا :

— من حضرتكم ؟

فاجاب « مجدى » :

— وفد من الطلبة

— وماذا تريدون ؟

— مقابلة رئيس التحرير فى امر مهم !

— انتظروا قليلا ...

فوقفوا ينتظرون . ولما طالت غيبة الغلام ، ظلوا يروحون
ويجيئون ، دفعا لاسام الانتظار ، فاتضح لهم ان الطبقة
الاولى ليست مسكونة ، وكانوا يسمعون من الطبقة العليا
رجلا غير واضح الصوت ، فى نبرات ما يدل على التوبيخ

والتهديد . ثم تبع ذلك حركات مصحوبة بمواء قتل ، فأخذ الرفاق يلتفت بعضهم الى بعض ، ويتسمنون

وبعد يأس ظهر الغلام ثانيا على السلم ، وطلب منهم أن يصعدوا ، فارتقوا الدرج مسرعين ، ووجدوا أنفسهم في ردهة صغيرة ليس فيها من الاثاث الا بضعة كراسي قديمة منشورة حولها قصاصات من ورق الجرائد . وقادهم الغلام الى غرفة صاحب الجريدة ورئيس تحريرها ، فاذا هي غرفة رخيصة الاثاث ، قائم في أحد أركانها مكتب رياسة التحرير . . . وما كاد الجمع يتوسط الغرفة ، حتى رفع « رئيس التحرير » رأسه عن أوراقه ، وخطا نحوهم مرحبا ثم التفت الى الغلام ، وقال له :

— اذهب وأعد القهوة على عجل . . . وادع لى « خليل أفندى » فى الحال

ولم تمض لحظة ، حتى صاح رئيس التحرير :
— يا « خليل أفندى » . . . يا بليد أفندى . . . يا حضرة الغبى . . . ما هذا التأخير ؟!

ثم وجه حديثه الى الطلبة قائلا :
— لا مؤاخذه يا حضرات الافندية . . . ان هذا الرجل لا يشتغل الا اذا طرقت الشتائم سمعه . مضت الآن ساعة وانا انتظر مقالته . . .

ثم استأنف ينادى « خليل أفندى » ناعنا اياه بمختلف النعوت المزدولة . . .

وبعد فترة ظهر « خليل أفندى » على عتبة الباب ، وقطه يتمسح بين رجليه ، وكان رجلا محطما ، زرى الهيئة ،

يحمل مجموعة من الاوراق تهتز في يده بلا انقطاع ، ووجهه
محتقن برقعة دكناء ، يزدحم بالتجاعيد البعيدة الغور ،
وعيناه محمرتان بلا اهداب . وكان يسير بخطا متثاقلة .
وبين فترة واخرى يضطرب كتفاه بحركة عصبية ظاهرة
ولما اقترب من المكتب ، ناول رئيس التحرير اوراقه ،
ووقف جانبا يهز كتفيه ، واخذ رئيس التحرير المقالة ، وانشأ
يتصفحها بنظرات سراع . ثم رمق « خليل افندى » بنظرة
شذراء ، ومزق الاوراق ، ورماها في وجهه قائلا :
- مقالة اليوم رديئة جدا ... لا اقبل ان انشر في جريدتى
امثال هذه السخائف ... لقد كانت افتتاحية العدد
الاخير احسن مقالة كتبتها في حياتك !

وما بلغ هذا القول اسماع « سليم » حتى اختلجت
اعضاؤه ... واستكمل « رئيس التحرير » حديثه مع
المحرر قائلا :

- يجب ان تفهم ان دار جريدتى ليست مأوى للعجزة
ولا مدمنى الخمر ... هيا ... تفضل ... !
فلم يبد اى تأثير على وجه الرجل ، وبقي كتفاه على
حالهما تهتان ... وانحنى على الارض ، يجمع قصاصة
مقالته في تبلد ، ثم خرج وهو يسير بخطواته المتثاقلة ،
وقطه بين رجليه يتمسح فيه ويموء !

وكانت نظرات « سليم » في اثناء ذلك لا تفارق وجه
المحرر ، ولم يكن يدرى على التحقيق ما الذى يحسه نحوه
في هذه اللحظة ؟ اهو شعور كره ؟ ام هى عاطفة اشفاق ؟!
ووجد نفسه يقف بغتة ، ويتهيا للكلام ... وظل كذلك

وقتا ، وهو يحاول أن ينبس ، فشخصت اليه الابصار ، وجعل صديقه « حسين » يشجعه ويغريه ، ولكن بلا جدوى وجلس « سليم » وقد تضرع وجهه ، وتفصد العرق من جبينه

والتفت « رئيس التحرير » الى الجمع ، وقال :
- لقد اراد الافندى أن يتكلم ، ولكنه لامر ما فضل السكوت ... الا استطيع أن اعلم أى خدمة تريدون أن اقدمها لكم ؟
فوقف « مجدى » وقفة الخطيب ، وتكلم بصوت جهورى طليق :

- سيدى رئيس التحرير ... نحن وفد من طلبة المدارس الثانوية ، جئنا نعرض شكوانا من تشعب البرامج الجديدة ، وازدحامها بالمواد ، مع ضيق الوقت وقلة المؤلفات ...

فنظر الرفاق بعضهم الى بعض مدهوشين ، ولما سمع « سليم » قول زميله « مجدى » غلى الدم فى عروقه ، وانقضى وقت وهو يحمل نفسه على الكلام ، ثم وقف يمسك بمقعد امامه ، ويستند اليه ، فتطلع اليه « حسين » محمسا ، فاندفع فى خطابة مسهبة ، فاذا به يشرح لرئيس التحرير - بمنطق مهوش - صعوبة المواد وقلة الاكفاء من المعلمين الجدد الذين كلفوا تدريس هذه المواد ...

وكان يتكلم محتدا مهددا ، فكأنه يسب ويصخب ، ثم بدا يتلعثم ، واشتد احتقان وجهه ، وتوالى ارتجاف اعضاءه - ولما رأى « حسين » ما وصلت اليه حالة صديقه ،

جذبه من سترته ، راغبا اليه في السكوت ... فأمسك
« سليم » على الفور عن متابعة الكلام ، وجلس على مقعده
وهو يجفف عرقه ، ويروح وجهه !
وقام « مجدى » والغبطة تشيع في وجهه ، وقال لرئيس
التحرير :

— الآن يمكننا أن نستأذن يا استاذ ، ولا تؤاخذنا فيما
أضعناه من وقتك الثمين الذى عرضنا فيه مسألتنا ...
نحن شاكرون لك حفاوتك بنا اجزل الشكر ...
وتقدم من « رئيس التحرير » فصافحه ، وما لبث أن
مشى الى الباب ، فحذا حذوه زملاء ...
وما أن اقلهم الشارع ، حتى انفجر « مجدى » ضاحكا
وهو يقول :

— ما راىكم ايها السادة في هذه المهزلة ؟ حقا انها لمهزلة
لم يسمح بمثلها الزمان قط !
واقترب « سليم » من « مجدى » ، وأخرج من جيبه
خمسین قرشا ، ثم ناول زميله اياها ، وهو يقول في صوت
اجش مضطرب :

— لقد كسبت الرهان يا « مجدى » ، وما هوذا في يدك
لم ينقص ... فاهنئك !
وترك الرفقة المكان ، عدا « سليم » و « حسين » فقد
مكثا واقفين حيث هما لا يتحركان . والتفت « حسين »
الى صديقه ، وقال :

— حقا لم استطع أن افهم شيئا مما جرى ... لماذا
لم تتكلم في الموضوع الذى جئنا من اجله ؟ ... او لماذا

لم تطلب الى ان افعل ذلك نائبا عنك ؟
فأخذ « سليم » يد صديقه في يده ، وشد عليها ، وهو
يقول :

— او كنت تظن انى اناقش ذلك المحرر الحساب ؟ ماذا
كنت تريد منى ان اصنع برجل محطم مهدم كهذا الرجل
وصمت كلاهما بعض الوقت
واندفع « سليم » بغتة ينشج ، مرتميا على صدر صديقه
كما ينشج الطفل الصغير !



حنين

هذه الارض التي عاش عليها ،
جشمتها الجهد والمشقة ، ولكنه لا
ينبغي بها بديلا ... فان «للارض»
نداء يملأ السمع ، ويشفق القلب
... انها تنادى صاحبها ، فيلبي
نداءها على الرغم من كل شيء !

كان « السيد افندى كساب » ناظرا لضيعة الشياخات ولد فيها من أب فلاح ونشأ في الحقل منذ نعومة اظفاره ، لا يعرف في الدنيا الا مهنة الفلاحة ، وقد بدا حياته رئيسا للزراع ، واطهر براعة فائقة ونشاطا في العمل الذى وكل اليه ، فرقى الى وظيفة خازن ، ثم الى معاون ، فناظر . وهذا اقصى ما يطمح اليه فلاح . وكان أمينا فطنا ، له حافظة من خوارق الطبيعة ، فاستطاع أن يدبر شئون الضيعة كامهر متعلم . ظل طول حياته فلاحا قلبا وقالبا . حسبك ان تجالس بهمة تصفى الى رنين صوته الممتلى وتتنظر الى عينيه البراقتين ليتراءى لك الريف بأسره ، الريف العظيم ، بشمس الوهاجة ، وظلاله الوارفة ، بهوائه اللافح ، ونسيمه الوديع ، بغدران الهادئة ، وسواقيه النواحة ، بخوار بهائم ، واغانى فلاحيه . . وكانت له دار متواضعة ليست اكثر اتساعا ولا ارفع شأنًا من دور الفلاحين ، سكنها ابوه من قبل ، ونشأ هو فيها وترعرع ، وشب فيها اولاده ، فلم يشأ أن يغيرها ، وعاش فيها كأنه في قصر رحب

وكان يتقاضى مرتبا لا يزيد على خمسة جنيهات ، فما كان اعظمه من مرتب ! فى أى شىء يصرفه ؟ كل شىء عنده : الجاموسة ترتع لا تكلفه من شىء ، والطيور تضيق بها الدار ، وحديقته الصغيرة التى بجوار التربة تمدد بكل

ما يطلب من نبات طيب لذيذ . وقد مات بعض اطفاله ،
ولحقت بهم زوجته ، فلم يتغير طبعه ، ولم تهن عزيمته .
فهو رجل البشر والعمل . وهذه الأرض المتسعة العظيمة
كان ينظر اليها كأنها أرضه ، وهذه الماشية التي تملأ الحظائر ،
وتغطي المراعى ، كان يعدها ملك يده ، بل انه ليضم لها
حب الآباء للأبناء ! كان يمضى اليوم كله متنقلا فى الحقل
يراقب الفلاحين وهم يحراثون ويزرعون ، وربما تناول
المحراث من أحدهم وجعل يحرث فى اهتمام ، وعينه تلمع ،
وصدره يعلو ويهبط . أو يمسك بالفأس يضرب بها
الأرض فى قوة وعزم ، ثم يرفع رأسه ويتلفت حوله وهو
يقول :

— ماذا رأيتم يا أولاد ؟ لقد كانت أرضا صلبة ، ولكنها
وجدت من هو أصلب منها ! ..

ثم يبادل الفلاحين النكات المرحية ، ويندفع مقهقهقا فى
سداجة الاطفال . اما اذا رأى تهاونا من احد فانه ينقلب
جبارا ينشر الرعب فى القلوب ، وكيف يقبل تهاونا فى
العمل ، والعمل روحه الذى يستمد منه الحياة ؟

واذا ما حان وقت الغداء جاءوا له بالخبز الرحراح (١)
والبصل وخثارة الجبن (٢) أسوة بجمهور الفلاحين ، فيجلس
معهم فى حلقة واحدة يأكل ويتحدث كأنه فرد منهم . ولا يكاد
الطعام ينتهى حتى يقوم « كساب افندى » منتصباً يصرخ
بأعلى صوته قائلاً :

(١) المرحوح (٢) المش

— هيا الى العمل يا اولاد !
ويستأنف الفلاحون شغلهم ، يعملون عمل الجبابة ،
وصوت الرجل يدوى بينهم كأنه الرعد
وعند الغروب يعود « كساب افندى » الى الضيعة
ووجهه يفيض بشرا ورضا ، يجفف عرقه المتصبب من
جبينه بكم رداءه ، ويذهب من فوره الى حظيرة المواشى .
هناك يجد البهائم متراسة امام معالفها ورءوسها منحنية
تأكل في شره ، لا تسمع منها غير جرش وقضم وانفاس
ترددها بين الحين والحين . يدخل الرجل فاذا برءوس
المواشى قد ارتفعت عن المعالف ، وجعلت تنظر اليه بعيون
مشرقة مرحة وهى ما زالت تلوك في فمها ما بقى فيه
من العلف ، وتمسح بالسنتها أنوفها المصقولة فتزيدها
التماعا ، كأنها تريد أن تظهر امامه بالمظهر اللائق به .
وبغثة يدوى صوت أحدها في صراخ مسترسل ، وهو ناشر
أذنيه في اهتمام ، ويحد بصره في الرجل . ولا تمضى لحظة
حتى تتجاوب الحظيرة كلها بأصوات هذه البهائم الساذجة
الطيبة القلب ، وقد اندفعت تتصايح في تحمس شديد ،
يحاول كل منها أن يظهر على رفقة ، ويكسب دونها عطف
مولاه .. ويصيح « كساب افندى » بصوته الجهورى :
— ما هذه الضوضاء ؟!

فتسكت البهائم على الأثر ، الا حمارا لم يكن بعد قد
اكمل مقطوعته في الترحيب ، فيرميه « كساب » بنظرة
حادة وهو يقول :
— حقا انك حمار !

ويعيد الحمار رأسه الى المعلق وهو يهر مغمغما ، ويمر « كساب أفندى » بالبهايم واحدا واحدا ، وهو يلاطف ظهر هذا ويداعب رأس ذلك . ويماجن آخر بنكتة لا يفهمها الا هو ورعيته .. يوزع عطفه بالسوية بينها ، لا يخص احدا منها بامتياز . واذا احس أنه زاد في ملاطفته لاحدها أسرع مبتعدا عنه وهو يختلس النظر الى البقية ، خشية أن يكون قد اثار فيها شيئا من الفيرة !

واذا ما عاد الى داره هوى على المصطبة منهوك القوى ، وهو مبتسم الثغر . وتأتى له بالطعام « أم الهنا » مربيته ومربية اولاده ، خادمتة العجوز الوحيدة . وينطلق « كساب أفندى » يقص عليها في اسهاب ما فعله في يومه ، ويستفتيها في منازعاته مع الفلاحين ، ويصفى لقضائها في رضا وقبول . وبعد ان ينتهى من طعامه يقصد الى الفرن فيعتليه متمددا ، ويستغرق برهة في تفكير عميق ، يعرض فيه بعض مناظر من ماضى حياته ، وتراءى له الدار وهى تزخر بأطفاله وتتجاوب بصيحاتهم ، ثم يراهم وقد كبروا حتى صارت البنات عرائس . ثم كيف تزوجن واستقررن في ديار أزواجهن ، وكيف غدا ابنه الوحيد « عبد الغنى » طبيبا نابها كبيرا الاسم ، يعيش في قصره المنيف « بالقاهرة » ثم كيف بقى هو و « أم الهنا » وحيدين في هذه الدار .. ويسمع صوتهما وهى جالسة على الارض بالقرب من رأسه ، فيطلب منها أن تقص عليه طرائف من قصص طفولته ، وتبدأ المرأة تحكى ، و « كساب » يصفى ، والابتسامة دائما تتألق على وجهه ، يستقبل بها احلامه العذبة

غير ان الدنيا تنكرت « لكساب » فجأة ، فحل به مرض عضال ، فنقله ولده الى « القاهرة » واسكنه معه ، واحاطه بعنايته ورعايته حتى ابل . وعاش « كساب » في كنف ولده مكرما معزز الجانب مغمورا بمناعم الحياة . ولكنه ظل دائما كما كان ، رجل الريف الصميم بجلبابه وعباءته . ولم يعرف من « القاهرة » كلها الا بعض المساجد وأضرحة أهل البيت يذهب اليها ليتعبد . وكذلك قهوة « الحاج ابراهيم » القريبة من مسكنه حيث يقضى الوقت في ركن منعزل يدخن الطباق في القصبة (١) ، ويستسلم لأحلام هادئة

دخل « كساب » يوما القهوة ، وكان ملتحفا بعباءته القديمة يتقى بها هجمات الرياح الباردة . وقصد الى ركنه المألوف ، فلمحه صبى القهوة ، واتى له على الفور بالقصبة وبالقهوة ، ووضعها امامه بعناية كبيرة ، وامسك « كساب » افندى « بالقصبة وادنى مبسمها من فمه في حركة آلية ، واخذ يدخن وعينه تنظران نظرا تائها

وسمع صوت « الحاج ابراهيم » صاحب القهوة وهو يتحدث الى نفسه . وبعد قليل ظهر رأسه الأشيب بلحيته المهندمة ، واخذ يدور في المكان بعينيه الكابيتى اللمعة . وما أن وقع بصره على « كساب » حتى اشرق وجهه بابتسامة خفيفة ، وخرج من مخبئه يسير في تباطؤ كأنه يمشى على ارض ملساء يخشى أن ينزلق . واقبل عليه وحياء مرحبا به ، فرد عليه « كساب » التحية فاتر

(١) نوع من النارجيلة يستعمل في القهوة البلدية ، ويعرف بالجوزة

اللهجة ، وتناول الرجل كرسيه ، وجلس عليه بجوار صديقه . وبعد أن تمخط وبصق ، التفت اليه وقال وهو يحدق فيه :

— كفى الله الشر ! مالك ؟

فرفع « كساب افندى » حاجبيه الأيمن ثم خفضه ، وجذب نفسا طويلا من القصبه ، ونفخ دخانها على مهل . وأخيرا قال :

— أنا متضايق ! ..

— لماذا ؟

— متضايق والسلام !

وجذب نفسا آخر ، والتفت الى « الحاج ابراهيم » ، وضغط يده قائلا :

— مرت على الآن أربع ليال و « البنهاوى » يتراءى لى فى المنام !

فهمهم « الحاج ابراهيم » وقال :

— البنهاوى ؟!

واتسعت عينا « كساب افندى » وانبعث من حدقتيهما بريق قوى ، وامتلا صوته بحيوية جديدة ، وهو يقول :

— أجل « البنهاوى » يا « حاج ابراهيم » ! لقد تركته عجلا صغيرا ما زال شعر الطفولة عالقا بظهره . وكنت امنى نفسى ان يشب فى كنفى

ونكس « كساب » رأسه ، ولزم الصمت برهة ، ثم رفعه وقال فى صوت اشبه بالهمس كأنه يناجى نفسه :

— أجل « البنهاوى » ... « البنهاوى » الذى حضرت

بنفسى ولادته . اتصدق ؟! لقد قضيت الساعات وأنا فى
الزريبة اعنى بامه . وكان الجو باردا والمطر ينهمر ، ثم
تلقيته بيدي : تلقيته قطعة حمراء ملساء كالحرير ، ونظرت
اليه فوجدته يحرق فى بعينه البراقتين اللتين تشبهان
فصوص الماس .. هذا هو « البنهاوى » الذى كنت احضر
اوقات رضاعه ، واهيىء له مرقده ، واقضى وقتا هنيئا
اراقبه وهو يقفز فى صحن الدار قفزاته المضحكة ..
ومرت فترة صمت ، ثم عاد « كساب » الى الكلام
فقال :

— لقد كنت سعيدا فى بلدتى ، فلماذا اتوا بى الى هنا ؟
ظالما جاءنى ابنى هناك ، والح على ان اعتزل العمل ، وان
اسكن معه فى « مصر » حيث الراحة والهناء ، فهل سمعنى
اتالم من عملى او اشكو من حياتى ؟ كان يعيب على ان ابقى
فى هذه الوظيفة ، التى كان ينعتها بالوضيعة ، وان امد
يدى لآخذ مرتبا لا يصح له ان يعطيه سائق سيارته .
يا لانكار الجميل ! انسى اننى بهذا المرتب الوضع استطعت
ان انفق عليه حتى وصل الى هذا المنصب الذى يحسد
عليه ؟! ..

ونكس « كساب افندى » رأسه فى استسلام ، وجعل
ينظر الى الارض والحزن باد عليه ، وغمغم قائلا :
— ولكن المرض ، المرض هو الذى غلبنى على امرى ، هو
الذى هزمنى وحطمنى . يا لله ! لم اكن اعرف المرض فى
حياتى ! سبعون عاما قضيتها وأنا أهزأ بهذا الدعى الثقيل
حتى شعرت به يهاجمنى على حين غرة ، وجاهدت

ما استطعت أن أجاهد لأتخلص من وطأته ، ولكن لم تجد
محاولتي شيئاً . لقد كنت أحس به يأكل من لحمي ، ويشرب
من دمي ، وينال من قوتي ، حتى أيقنت أني هالك .
وحضر ابني فوجدني أكاد ألفظ نفسي الأخير ، فحتم نقلي
إلى « مصر » ، فلم أعارض . لقد كنت في ذلك الحين
كالطفل الصغير المسلوب الإرادة . وحملوني إلى المحطة
والناس من حولي يودعونني ، ويطلبون لي الشفاء ..
وكنت التفت حولي في مشقة أملأ عيني من منظر الحقول
.. وسمعت بفتة خواراً من بعيد ، فشعرت كأن سكيناً
تحز في قلبي . أهو خوار « البنهاوي » يهتف بي ويسأل
عني؟! ومسحت دمعتي بكفي ..

... وفتحت عيني يوماً ، فوجدت نفسي على سرير
في حجرة فخمة ، وبجانب رأسي امرأة تلبس البياض كأنها
عروس كبيرة من عرائس الحلوى في موالد الأولياء .. ومرت
الأيام ، واستطعت أن أنهض من فراشي ، وجاء ابني يهتني
ويقبلني ..

وعشت في هذه الحجرة الفخمة إياماً أخرى .. يالله !
لم كل هذا؟! خدماً وأتباع ، ونور يخطف البصر ، وموقد
كهربى ييث الحرارة في كل مكان و .. و .. ولكنني كنت
أنظر حولي كالغريب وأتهد ، ثم أطلق العنان لأفكاري ،
أين داري الريفية؟! أين فرني اتدد عليه؟! وأين « أم الهنا »
تخدمني؟

ثم استطعت أن أفارق الحجرة وأخرج إلى الحديقة .
لقد كانت فسيحة جميلة التنسيق . ولكن أين هي من

حقلي؟! وهذا البستاني الأبله الذي يقوم على شأن الحديقة ،
لم نستطع ان نتفاهم معا على شيء . فكاننا اجنبيان
لا يعرف كل منا لسان الآخر . كنت أسخر منه كلما
رأيتة ، فالتزم ان يتجنبني ، حتى التحية لم يعد يبادلني
اياها !

وترادفت الأيام وأنا لا عمل لي ، اقضى نهاري جالسا
امام البيت اثناء متعجبا من بطء الزمن . كان يخيل لي
ان اليوم لن ينتهي ، وانني سأقضى السنين لا اغير جلستي .
وكان كثير من الزوار يقبلون على بمطروني وابلا من الاسئلة ،
فاذا لم يحظوا مني برد سمعتهم يتهايمسون : ما اغباه من
بواب !

لا شيء يعوزني في هذا المنزل الرحيب ، ولكنني مع ذلك
احس انني يعوزني كل شيء ، فأقضى يومي صامتا اتصفح
همومي !



واستغرق « كساب افندي » في الصمت ، ثم ادنى
مقعده من مقعد « الحاج ابراهيم » ، وقال في صوت
خافض ، وهو ينظر اليه نظر الحالم :

— لقد حدث لي امس حادث غريب ، اريد ان اقضى
به اليك ، عليك تستطيع ان تفسره لي : بعد ان تناولت
العشاء قصدت الى حجرتي ، وجلست على المقعد
ذي المسندين ، وكنت تعباً ، فأرحت رأسي على ظهره .
ولكنني لم اطبق جفني ، أوكد لك انهما كانا مرفوعين .
ومضى وقت لا اعرف مداه وأنا اعرض في تخيلتي شتى

المناظر بين قديمة وحديثة . وفيما أنا على هذه الحال
 سمعت صوتا من بعيد يفنى انشودة ريفية قديمة ، كثيرا
 ما ترنمت بها في شبابي ، فاصفيت اليها في اقبال ، وشعرت
 بقلبي يملؤه ذلك النور القديم ، واحسست دفئا طيبا
 يشمل جسدي ، وامتلا انفي برائحة البرسيم الطيبة ..
 وكان الغناء يعلو ويقترب رويدا ، ولكن من اية جهة ؟ ومن
 هو الذي ينشد ، افرء ام جمع ؟ وبعد حين اصبحت
 الحجرة تتجاوب بتلك الانشودة ، وشعرت بنشوة عظيمة ،
 وتمثل لمخاطري اننى ارى اشباحا تروح وتفدو امامي ،
 وانعمت النظر فيها ، فاذا بهم اصحابي الفلاحون وزوجاتهم ،
 كلهم في حللهم الجديدة التى يلبسونها في يوم العيد ، كلهم
 مبتهجون ينظرون الى بعيونهم المكحلة .. ثم رايتهم
 يختفون . كانت تطويهم جدران الحجرة ، واخذ الغناء
 يتضاءل رويدا رويدا حتى اصبح ضميضا لا تكاد اذنى
 تعيه ، ثم عم الحجرة الصمت ، وقمت من مقعدى وانا
 اناديهم صارخا ملحا .. لقد كنت اشعر ان قلبي يتمزق ،
 ورأسى يحترق .. وهرول الى ابنى ، وعنى بامرى ، فارقدنى
 على السرير واشربنى دواء سرى في على اثره فتور ورغبة
 في النوم ..



في مساء اليوم التالى ، خرج من منزل الطبيب رجل
 يسير في حذر وتلصص ، يلبس الملابس الريفية ، وهو
 ملثم الوجه بمطرف من الصوف ، وكانت وجهته محطة
 السكة الحديدية ، ولما وصل اليها اخذ تذكرة في الدرجة

الثالثة الى بلدته « الشياخات » . واخذ مكانه في العربة ، وهو يلتفت يمنة ويسرة في شيء من الذعر ، وما كاد القطار يتحرك حتى انفرجت اسارير وجهه . وغمره البشر والاطمئنان ، وغمغم بكلمات حمد وشكر لله

وسار القطار يشق طريقه في الظلام ملولا ، يصعد زفراته المتقطعة . لقد كان هو وركابه كسالى متعبين ، يغمهم خمول ثقيل ، ما عدا هذا الرجل الريفى المشرق الوجه ، فقد كان يقظا كثير الحركة ، يعجب لبطء القطار ويستعجله ، وكلما وقف القطار في محطة اطل من النافذة متطلعا ، وجعل يرسل بصره حوله مدققا فاحصا ثم يعود الى ما كان عليه ، وقد اخذ صبره ينفد . . واخيرا ظهرت « الشياخات » يلفها ظلام كثيف ، ويرفرف عليها صمت شامل ، فعرفها الرجل دون ان يراها ، عرفها بشعوره كما يعرف الحيوان موطنه بغيرزته ، واحس رجفة تمشى فيه ، وتطلع من النافذة يريد ان يمزق بنظره الحاد حجاب الليل الأسود الذى يغشى كل شيء . رأى ابراج الحمام القائمة عند مدخل البلدة ، شاهد الجامع المتهالك بعضه على بعض ضعفا وهرما ، وهذه اشجار التوت الخمس الشائخة بفروعها فى الجرن ، تلك التى طالما تفيأ ظلها الوارفة واستمرا ثمرها اللذيذ . . وهب عليه ذلك النسيم الرطب ذو الرائحة الخاصة ، النسيم الذى صحبه فى مدارج حياته كلها ، والذى يستطيع ان يميزه بين ألف نسيم . . وقف القطار ونزل الرجل يقفز منه كأنه ابن عشرين ، وترك المحطة عجلا واتجه فى خطا فسيحة نحو

الضيعة . كان الطريق خاليا الا من بعض الخفراء اخذتهم
سنة من النوم ، وهم مجتمعون امام خص من اخصاصهم ،
وقبالتهم بقية من نار كانوا يستدفئون بها ، عرفهم الرجل
واحدا واحدا ، ووقف برهة يتأملهم ، وقد ساوره شيء
من الضيق ، واراد ان يصيح فيهم صيحته في سالف ايامه
ينبههم الى واجبهم . ولكن سرعان ما علت شففتيه
ابتسامة سائحة ، وتابع سيره الحثيث نحو داره ، حتى
اذا ما وصل اليها عالج الباب حتى فتحه ، ودخل الدار
في سكون وهو يطوف بنظره فيما حوله ، ويشم الهواء
في لذة مسكرة ، واحس الدفء المنبعث من الفرن ، وتشبع
انفه برائحة الخبيز ، ولمح عباءته القديمة معلقة على الحائط
كانها ترحب بقدمه ، و « ام الهنا » مكورة على فراشها
بالقرب من الفرن تنفس تنفسها الهادى البطيء . كل
شيء كما هو لم يتغير ، كل شيء معد لاستقباله : العباءة
موجودة ، والفرن دافئ ، والارغفة الرحراة الشهية تملأ
المشنة ، و « ام الهنا » نائمة تنتظر عودته من الحقل ،
احقا كان في « القاهرة » ؟ اغاب عن وطنه ستة اشهر
كاملة ؟

وتحركت « ام الهنا » في فراشها وفتحت عينيها ، فما
ان وقع بصرها عليه حتى قامت فزعة وهى تقول :
- من ؟ من انت ؟!

وكادت تخرج من حلقها صرخة استغاثة ، ولكن الرجل
تقدم نحوها بطيء الخطا ، وهو يقول ضاحكا :
- انسيتنى يا « ام الهنا » ؟

ووقفت المرأة تدعك عينيها في دهشة وتردد . ثم اندفعت بكل قوتها نحوه ، وجعلت تقبل يده ، والدمع يطر من عينيها ، وقالت في صوت متهدج :

— سيدى ! سيدى !

وجلس « كساب » على سطح الفرن ، وقعدت المرأة على الارض بالقرب من قدميه ، وسألته قائلة :

— لماذا لم تخبرنا بقدمك ؟

— وهل كنت أعلم أنا بموعد سفري ؟!

واخذ يسألها عن أشياء مما يتصل بالضيعة : عن « البنهاوى » ورفاقه ، عن الارض وما انتجت من محصول ، عن همّة الفلاحين في العمل ..

كان يصغى طويلا ولا يتكلم الا قليلا . وكثر تشاؤبه وتمطيه ، وقامت به رغبة في النوم ..

ونفضت « أم الهنا » متسللة الى خارج الدار ، وهى لا تستطيع كتم ذلك السر العظيم في صدرها . ذهبت الى جارتها تزف اليها هذه البشرى

وبعد قليل سمع « كساب » هرجا ومرجا واصواتا مختلفة ، مصحوبة بأغاريذ النساء . وكان مسندا ظهره الى الحائط وهو في شبه غفوة خفيفة ، ففتح عينييه وابتسم

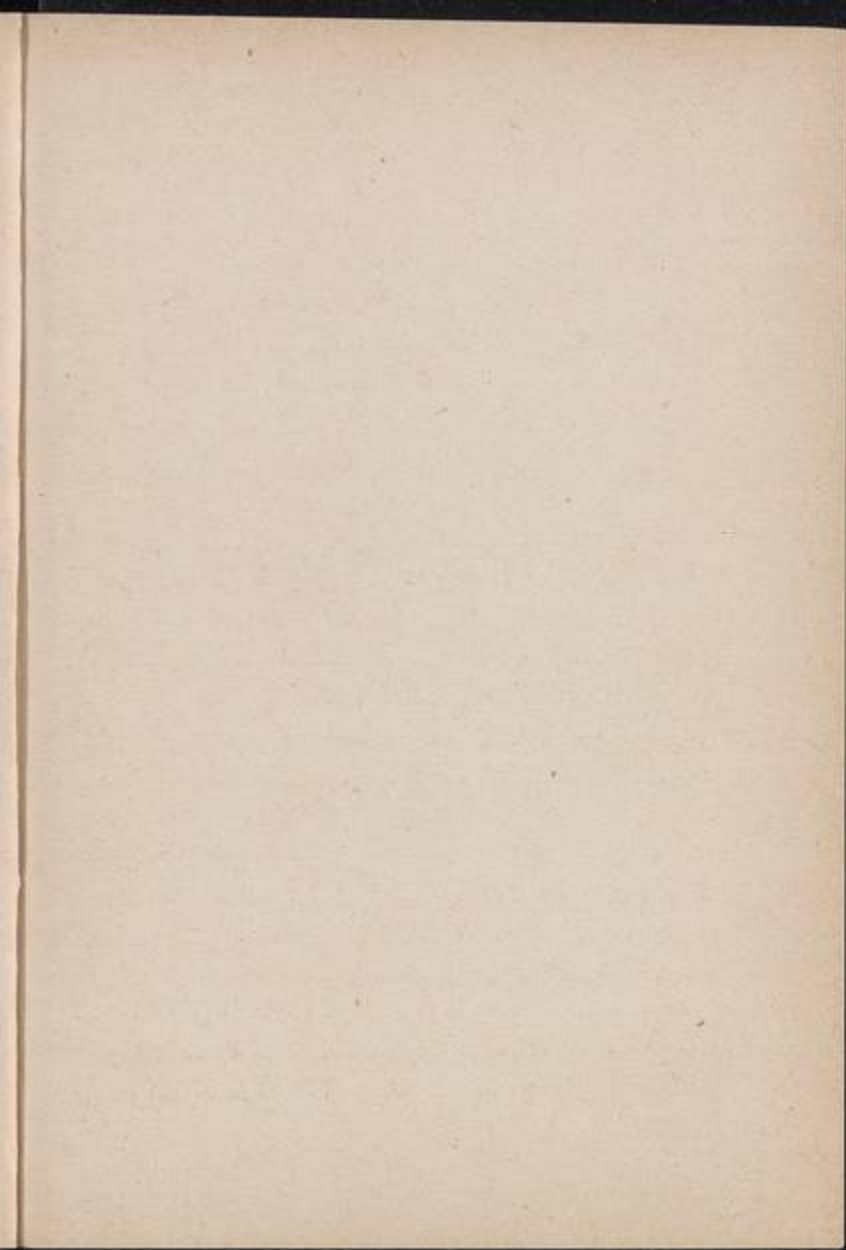
وتدفق الناس من الباب يحيون زعيمهم الكبير ، فقام الى لقائهم ، وبسط لهم ذراعيه يحتضنهم ويحتضنونه ، ويقبلهم ويقبلونه . ثم صاح « بأم الهنا » قائلا : القهوة حالا للضيوف !

وجلسوا جميعا على الارض ، و « كساب » معهم يتبادلون
في اختلاط عبارات الترحيب والايناس
والح على « كساب » التعب وعاد النوم يفزوه في عناد
يا لله ! انه يطبق اجفانه ويسند راسه الى كتف جاره ..
وشعر بأيد تحمله الى سطح الفر ، وتمدده عليه
ثم لم يلبث ان انساق به الاحلام كل مساق !! ..



جاء الشتاء

هذه النفس البشرية في أعماقها
حين تهفو إلى الخير ، تعبت بها
الاهواء ، فتأبى إلا أن يكون
احسانها .. على حساب الغير !



الشتاء على الأبواب ...

انه يشعر الناس بمقدمه المخوف ، وانه ليقدم دائما في
موكب من ضجة واصطخاب . اليس هو موسم العواصف
والزوابع ، موسم الرعود والبروق ، فكيف ترجو اليه ان
يقبل عليك في سكينه وهدوء ؟

الشتاء على الأبواب ...

لا خيرة للناس في استقباله ، فليس لهارب منه نجاء ،
سيان عنده من هش له ، ورحب به ، ومن نقم عليه ،
وتحرز منه

كانت اسرة « العنتيل » ممن يمقتون الشتاء ، ابغض
شيء اليها هذا الزائر البارد الطلعة ، الثقيل الوطأة ، هذا
الذي يعلن قدومه في هجمة غاشمة ، لا يأتى البيوت من
ابوابها في تحشم واستحياء ، ولكن يقتحم النوافذ والمسارب
والشقوق في اجتراء ، فيزلزل السماء والارض ، ويقلب
الكون راسا على عقب

واسرة « العنتيل » تاوى الى بيت من تلك البيوت
المهشمة التى عاثت فيها تصاريف الزمان ، ينزوى في
اطراف حى « القلعة » ، كانه جندي اثخنه الجراح فتخلف
عن رفاقه في الميدان ، وبقي وحده يعانى سكرات الموت
وذاث عشية من شهر نوفمبر ، راع الاسرة ان السقف
من فوقها يضطرب كانه يوشك ان يخر ، وان الارض من

تحتها تميد كأنها توشك أن تنخسف ، وأن مصاريع النوافذ
تتصادم وتتضارب

في هذه الليلة ، علمت الأسرة على يقين أن وافدا الشتاء قد
حل ، وأنها تستقبل مكاره ذلك الضيف الثقيل ، فعليها أن
تتجهز له ، وأن تروض نفسها على مصاحبته ، حتى يرحل
عنها بعد أشهر معلومات ...

وهرول « العنتيل » إلى صوان الملابس ، فجعل يقلب
في محتوياته ، لكي يتفقد معطفه القديم الذي لزمه اشتية
متوالية ... حقا تدسست إلى هذا المعطف عوامل الرثاءة
والبلل ، ولكنه استطاع أن يسبغ الدفء على صاحبه ، وأن
يحميه خلال الشتاء من معقبات البرد القارس ... وكفاه !

اطال « العنتيل » بحثه في أركان الصوان وزواياه ، فلم
يجد للمعطف من اثر ، فأقبل على زوجه يسألها عنه ،
ولكنها ابت أن تنصت له ، إذ كانت بمتاعها هي وأولادها في
شغل شاغل ، فتابع الرجل سؤاله في الحاح واهتياج .
فرفعت الزوجة بصرها إليه مدهوشة تقول :

— أي معطف تسألني عنه ؟ المعطف المهلهل الذي علمت
منك غير مرة أنك زاهد فيه لن ترتديه ، وأنت معتزم شراء
معطف جديد ؟!

— اني في حاجة اليه ... على به

— الست معتزما شراء معطف جديد ؟

— قولى لى : اين اجد معطفي القديم ؟

— لقد جاءنى أمس الرجل العجوز المسكين ، ساعى
الإدارة الذى يعمل تحت امرتك ، فاشفقت عليه من برد

الشتاء ، فدفعت المعطف اليه ، التماسا لدعوة صالحة منه
وفقر « العنتيل » فاه مذهول النظرات ، وكاد الفضب
يبلغ به حد الثورة ، لولا أن عاجلته الزوجة بقولها :
— أنت رجل عطوف القلب ، ولك عند الفقراء مائر ،
والألسن تلهج بالثناء عليك ، فهل تبخل على ساع مسكين
بذلك المعطف القديم ينجيهِ من هلاك محقق ؟!

واطرق الرجل يفكر هنيهة ... لقد صدقت زوجه في
وصفها اياه بأنه حسن الاحدوثة في الناس ، وان قلبه فياض
بالخير والبر ، ولكن ذلك كله لا يبلغ عنده مبلغ التفريط في
معطفه العتيق ، ذلك الرفيق الكريم الذي لا يعوض ...
لا ينكر « العنتيل » انه تحدث يوما في شأن اعتزامه شراء
معطف جديد أنيق ، يلائم منصبه في رياسة قلم التسجيل
بمصلحة التنظيم . ولكن أين المال الذي ينيله ذلك المطلب
المرموق ؟

وهم بأن يأخذ على الزوجة سوء تصرفها حين وهبت
المعطف ، قبل أن تستأذنه ، فألقى الزوجة تسبق اليه
وهي تقول :

— ألم يؤكد لك رئيسك أنك حاصل على الترقية حتما
هذه الايام ؟ سيتيسر لك المال ، فلا تحمل هما لثمن المعطف
الجديد

والقى « العنتيل » نفسه بغمغم ولا يبين ...
وفي الصبيحة من غده ، ترك بيته قاصدا مصلحة التنظيم ،
كدابه كل يوم ، فما كاد يتخطى عتبة الباب حتى تعاورته
الرياح ، فأسرع يتكتمش في اهابه ، ويضم حواشي سترته

اليه ، ورفع بنية السترة يحمي عنقه الهزيل المعروق .
ثم جد في السير ، كأنما يبارى هذه الريح الهبوب . وفي
أثناء سيره بنى عزمه على أن يتحدث الى مدير الادارة في
امر الدرجة المرجوة ، حتى اذا نالها استطاع أن يحصل على
معطف جديد يجابه به جبروت الشتاء ، ويزهو بجذته
ورونقه على الأقران ...

واقبل على حجرته ، فكان أول من لقيه الساعي العجوز ،
ربيب نعمته ، ذلك الذي تلقى من يد الزوجة هبة المعطف
العزيز ... وتراءى له الساعي وضاح الجبين يرفل في
معطفه ، لا يبالي عصف الهواء ، وطفق يتقافز حول
« العنتيل » مرحبا به ، شاكرا له ، يرفع له يديه بصالح
الدعاء ، فرد « العنتيل » تحية الساعي - أو الداعي -
في لهجة طابعها التحفظ والاستعلاء ، وراح يرمق المعطف
وهو يلف جسم الرجل العجوز ، كأنه درع سابعة تكفل له
الوقاية والامان . ثم انقفل يجلس الى مكتبه ، وهو يسوى
بنية سترته ، وجعل ييسط قامته ، ويرفع هامته ، يريد
أن يبدو في مظهر شاب رياضي يتحدى عوادي الأجواء

ولبت بعض ساعة في لمة من اخوانه ، يخوض معهم في
حديث مملول ، حتى علم بمقدم المدير ، فانطلق الى حجرته
يحييه تحية الاصباح في ادب بالغ ، فالفاه يخلع معطفه ،
فابتدره يتلقاه عنه ، وحمله في عناية الى المشجب عن كنب
منه ، ثم انعطف يقول :

- كل عام وانتم بخير ... لقد بكر الشتاء هذا العام ،
وقد احسنت صنعا يا سيدي المدير بارتداء المعطف

فهمهم المدير يقتضب الحديث :

— الحيلة خير
— حقا ان الحيلة رأس الحكمة ، ولكنها ليست ميسورة

لكل راغب

فنظر اليه المدير بمؤخر عينه يقول :

— كيف ؟

— متى استطاع المرء ان يحتاط كان له ان يفعل ، فاذا

لم يقدر ...

وفطن المدير الى أن « العنتيل » يطاوله في الحديث

لحاجة في نفسه ، فزوى حاجبيه ، وقال له :

— كل امرئ يستطيع ان يدبر أمره ، جهد طاقته ، وفي

حدود ملابساته

وانكفا المدير على مكتبه ، يتشاغل بتقليب ما بين يديه

من اوراق ، فتداني منه « العنتيل » يقول في نبرات

ضارعة :

— كيف ندبر أمرنا ونحن على حال من السوء لا نملك

معه شيئا من التدبير ؟

فرماه المدير بالنظر الشزر ، وقال له في ضجر :

— لقد رغبت اليك أمس في انجاز الرسائل المعطلة ،

فانشط لها اليوم

فشرع « العنتيل » يفرك يديه ، وهو يقول :

— عندي كلمة واحدة أحب أن ابلغها سيادتكم

فقال له :

— قلها وأوجز

— الدرجة ... الدرجة التي وعدتني بها هذا اوانها ،

فأنا في ضائقة وعسر ، وهذا هو الشتاء قد أقبل ، وما أشد احتياجي الى معطف

— الم يبلفك ان التعليمات تقضى بتأجيل الترقيات ؟ ليس في مكنتي ان أرشحك للدرجة الآن ...

— وهل ينتظرني الشتاء حتى تنتهى فترة التأجيل ؟ لا بد لو من معطف ، وانت مستطيع ان تتصرف فى الامر بحكمتك ، حتى انال الدرجة الآن

— مبلغ علمى انك تملك معطفا

فأشاع « العنتيل » ابتسامة شاحبة على فمه ، وقال : — انه معطف اكل عليه الدهر وشرب

وراح يتصنع الضحك فى نظرف ، وهو يختلس النظر الى المدير ، ولكن الرجل ازداد من قطوب ، وقال له مخشوشن الصوت :

— عليك أن تقنع بمعطفك القديم !

— انه مهلهل يا سيدى ، وما يليق بمثل فى مكانه من رياسة قلم التسجيل ان يبدو فى اسمال ... فصاح به المدير :

— انك تنظر الى الدنيا بمنظار عتيق ، فجدد عقليتك ، واعلم اننا الآن فى عصر التقشف والاقتصاد وضغط النفقات لقد ولى عصر البذخ والتفاخر ... لا اسراف بعد اليوم ! فاصفر وجه « العنتيل » ، وتلعثم لسانه وهو يقول :

— بذخ ... تفاخر ... اسراف ... لاشئ من هذا كله !

فجلجل صوت المدير بقوله :

... تعود التقشف ... خذ نفسك بضفط النفقات ...
الترقيات مؤجلة ... لا تضع وقتك سدى
وأدبر « العنتيل » عن مكتب المدير يجزر قدميه ، وهذه
الكلمات تظن في أذنيه : التقشف ... ضفط النفقات ...
لا اسراف بعد اليوم !

ولم يكذ يخطو في البهو بضع خطوات حتى لاح له شبح
« عم مؤمن » الساعى العجوز ، وهو في معطفه السابغ يخب ،
والابتهاج على محياه يتلألا ، فحذجه بنظرة نكراء ، ثم ازور
بعينه عنه ، وتابع خطوه على وجهه قنام

وحاول « العنتيل » غير مرة أن يثير عند مدير الادارة
حديث الدرجة المنشودة ، عله يحظى بوعد تطمئن به نفسه ،
فلم يجد من المدير الا ترديد نصائحه الصاخبة في شأن
التقشف المطلوب ، والنفقات التى يجب أن تضفط ،
والاسراف الذى انقضى عهده ، منذ اليوم

فاستياس الرجل ، وتوارى طيف المعطف الجديد من
مخيلته ، حتى لم يبق له اثر ، بل انه لم يعد يطمع في أن
يظفر بمعطف اى معطف ، وأن كان ليسا من سوق
الأسقاط !

ومن اين له بصيص من الأمل ، وهذا مرتبه الضئيل
تبتلعه مطالب البيت في مطالع الشهر ، ولا يكاد يسد الفاقة
في سائر الايام ، فلا بد معه من الاقتراض ، فلكل شهر دين
يضاف الى دين ، وأن الديون لتبلغ مبلغا يبعث في جسم
الرجل قشعريرة دونها قشعريرة البرد
لا غرو اذن أن ينتهى الامر بالرجل الى قرار حاسم ، ذلك
أن يقضى الشتاء بلا معطف ، وليكن ما يكون !

ولحظ الناس من شأن « العنتيل » انه قد أصبح على حين بفتة داعية من دعاة التقشف وضغط النفقات ، لا يشر بالدعوة في كل مكان ، تارة يتغنى بها لسانه في طرب ، وتارة يتحمس لها ويخاصم عليها في احتياج ، ولظالما بح صوته وهو يقول :

— الاسراف ... الاسراف ... انه آفة البلد ... انه علة العلل ... علينا ان نناهضه ولا نتهاون به ... لننتخذ من التقشف سنادا ندعم به حياتنا الاقتصادية التي اخلت بها الجهالة والغباوة والحمق ... اياكم والسرف ... وازنوا بين الدخل والخرج ... اضغطوا النفقات !

بمثل هذه الجمل والعبارات ، كان يتحدث الى اقرانه في العمل ، وجلسائه في المشرب ، واهله في البيت ... فداع امره وشاع ، وحلا لبعض الظرفاء أن يلقبه « بطل التقشف » فعرف بهذا اللقب ، وتسامع به الناس ، فتناقلته الافواه في تهكم كظيم !

وعلم مدير الادارة بما صار اليه امر « العنتيل » فرضى عنه ، وأغراه بالمزيد ، اذ كان له في ذلك صارف عن اقلقه باطلاق الدرجات وصرف العلاوات ... وهذا فضل عظيم ! وتعمق « العنتيل » في دعوة التقشف وضغط المصروفات ، فاذا هي في رأسه فلسفة شاملة يطبع بها آراءه في الحياة ، ونظراته الى الناس ، تراه في مجرى حديثه الدارج الى الرفاق يتطرق الى موضوعات اجتماعية نفسية ، يطبق عليها قواعده الجديدة ، فان تحدث مثلاً في « فلسفة العادة » أسهب يقول :

— يسير علينا ان نكتسب الحميد من العادات ، وان نبرأ
من كل عادة سيئة ممقوتة ، متى كانت لنا ارادة ... ارادة
صلبة ... ارادة من حديد ... هاكم مثلاً ، لا اتصيد
لكم من بعيد ، فاني انا « المثل » ! ... لقد اعتزمت هذا
العام ان اعود جسمي احتمال ما ياتى به الجو من اهوية
وعواصف ، فمن العار ان يستعبدنا هذا الشتاء ، وان
يريدنا على ارتداء اكسية نحن عنها في غناء ... لقد تمردت
على البرد ، ورفعت في وجهه راية العصيان ، وابيت ان
ارتدى معطفا كما كنت افعل ، وهانذا اصرع الشتاء في عزم
ومضاء ... من شاء اكتساب عادة او انتزاع عادة ، فليكن
سلاحه قوة الارادة !

وما ان يبلغ الرجل من خطابه هذا المبلغ ، وهو في فورة
من حمية وتحمس ، حتى يشتد به العطاس ، ويحتد عليه
السعال ، فاذا جلساؤه يتبادلون النظرات ، وقد تراصت
على افواههم بسمات السخرية ، وتسابقت على السنتهم
كلمات التنادر

اما علاقة « العنتيل » بالساعي العجوز « عم مؤمن »
ذلك الذي نال المعطف ونعم به ، فكانت علاقة يشوبها شيء
من القموض والانقباض ، على الرغم من مظاهر الالفة التي
تبدو للعيان في كثير من الاحيان

ان الساعي ليذكر « للعنتيل » جميل صنعه به ، فهو
يكن له التكريم والاكبار ، ويحرص على خدمته ما وسعه
ان يحرص ، ولكنه لا يملك الا ان يستريب منه ببعض

تصرفات قاسية لم يكن يعهدها فيما سلف من أيام
ان « العنتيل » يلقاه في هشاشة وبشاشة ، ويمتدح
اخلاصه وولاءه ، بيد انه ينتهز بعض الفرص ، فيغمزه
غمزات يالم لها اشد الالم ، وهو يكيل له في الحين بعد
الحين الوانا من النقد والتهكم تشير عليه من حوله ، فيسخر
منه او يشمتون به ، او يصبون عليه جام اللوم والتشريب
ولا ينسى « عم مؤمن » انه كان يوما متخذاً جلسة راحة
واستجمام ، وقد اخرج علبة لفائف التبغ ، يبغى ان
يدخن واحدة ، فاذا « العنتيل » يهل عليه في جمع من
الرفاق ، وبين يديهم اوراق يريدون عرضها على المدير ،
فاستوقفهم « العنتيل » امام الساعي العجوز ، فاضطرب
الرجل في جلسته ، فنهض يلم شعته ، وهم بان يوارى
علبة اللفائف في جيبه ، فما كان من « العنتيل » الا ان عاجله
ينتزع العلبة من يده ، وهو يصيح في لهجة مريرة ، ظاهرها
مزح ومفاكهة :

— ماشاء الله كان ... ماشاء الله كان ... علبة لفائف
« الجمل » ... اللفائف الفاخرة ... يالحظك العظيم !
فجعل الساعي يلغو ولا يكاد يبين ، ثم حاول ان يتضحك
وهو يقول :

— حقاً ما اعظمه من حظ ... ولكن الا تعلم ياسيدي ...
فقاطعه « العنتيل » متعالياً بضحكته العابثة :
— انت تؤثر الدخان الامريكانى ، لانك ساع امريكانى ...
لا نظير لك ... بكم اشتريت هذه العلبة ؟!

واعندل « عم مؤمن » في وقفته، وهو يجاهد في مسامرة
هذه المناكفة الثقيلة بقوله :

— ليست هذه يا سيدى علبة اشتريتها ... انها حطام
علبة ... صادفتها ملقاة في زاوية من حجرة المدير ...
لا تحوى الا لفافتين محطمتين مثلى !

فأخذ « العنتيل » بيد الساعى ، وهو يقول :

— لاتحسبنا ننخدع بهذا الكلام... انت رجل لك عقلية
رجعية سيئة ، فلتقوم عقليتك ، وانى لوجه الله انصح لك .
مالك ولتقاليد السادة المترفين ؟!

ثم طفق يربت ظهره ، وهو يقول :

— ارجع على نفسك بما تنفقه في سبيل التدخين ...
اشتر ما ينفعك ... ذلك خير وأولى

واستأنف « العنتيل » سيره مع الرفاق ، وهم يتنادرون
على الساعى المعجوز المسرف الذى يابى الا ان يتعاطى الفاخر
من الدخان ... وظل الساعى مائلا في وقفته ، يحدق الى
« العنتيل » ورفاقه بعين تضطرم ، ثم قذف بعلبة اللفائف
في عرض البهو ، وهو يبرطم ويزمجر

ولا ينسى كذلك « عم مؤمن » أنه كان مرة يقضم من
شطيرة ضئيلة يسد بها جوعته ، والوقت ضحى ، والحركة
على أشدها في مكاتب الموظفين ، ففجأه « العنتيل » وهو
ياكل ، وحده بنظرة شزراء ، وقال له :

— سبحان الله ... انت دائما لا يفرغ لك طعام ...
ما رايتك الا مشغول الأضراس بشيء تأكله !

فأسرع الساعى يدرا التهمة عن نفسه بقوله :
- اقسام لك ياسيدى انى خرجت من الدار دون ان
اصيب فطورى

فلاحقه « العنتيل » محنقا يقول :

- وما حاجتك الى الفطور فى الدار ، وفى مقدورك ان
تخرج لتتناوله فى « جروبي » او « سميراميس » او ما شئت
من مطاعم العظماء ؟! ... يا ناس ، جانبوا الجشع ...
اقمعوا شهواتكم ... اين التقشف ؟

فتلاحق السعاة يسمعون حديث « العنتيل » فالتفت
اليهم يقول :

- الدنيا كلها تسير فى منحى ، و « عم مؤمن » ساعى
الادارة يسير فى منحى وحده !

ومضى منتفصا يترنح فى مشيته ، والساعى يشيعه
بغمغمة نائرة تحتبس بين شذقيه ...

وتكررت امثال هذا المشهد العصيب ، والساعى العجوز
فى دهشة وحيرة ، يعجب لما يجبهه به « العنتيل » من
مناكدة وعنت ، ويرجو ان يرجع الرجل الى سابق بره به ،
واحسانه اليه

واستمرت الحال على هذا النحو ... كلما تعالت ولولة
الرياح ، واشتدت صولة الشتاء ، ازدادت حماسة « العنتيل »
فى الدعوة الى التقشف وضفط المصروفات ، وتوهجت
بطولته فى النهى عن البذخ والترف ... وتبع ذلك كله
انتهاز كل فرصة للتهجم على « عم مؤمن » واقتفاء عثراته ،

والإنحاء عليه باللوم والتقريع ، واتهامه بأنه مسرف متلاف
وتداعى الناس الى « أسبوع معونة الشتاء » وتنادوا
بالاقبال عليه والبذل له ، واذن بالمسير في طول البلاد
وعرضها « قطار الرحمة » حافلا بالامتعة والاكسية يوزعها
على المعوزين والعجزة ، وتطايرت اخبار مواكب المعونة
تجول في الأحياء ، وتخرق المسالك والدروب ، تجمع من
البررة الاسخياء ما فضل عندهم من اثواب واشياء ، لترجع
بها على المحرومين والعفاة

وجلجل صوت « العنتيل » في مصلحة التنظيم بحث
الرفاق على التصديق ، مذكرا بحق السائل والمحروم ، مشيدا
بما يلقاه المحسن عند الله من مثوبة وجزاء

وحل اليوم المشهود ، ودخل « موكب المعونة » دار
المصلحة ، ليتلقى عطايا الخيرين من الوان المتاع ، واخذ
الموكب يتنقل بين الحجر والمكاتب ، محوطا بالحشد الزاخر ،
ومن حوالبه صياح التهلل والتحمس والترحاب

ومضى الموكب يجتاز البهو الى الحجرة التي تضم
« العنتيل » ورفاقه ، فما أن تدفق الجمع على الحجرة
حتى اعتلى « العنتيل » مقعده ، وانبرى خطيبا يؤيد هذه
الروح التي حدث الى معونة الفقراء على مكابدة الشتاء ،
فقطعت خطبته بالتصفيق الحاد، ونزل عن الكرسي يتبرع
بلفيفة انطوت على طربوش قديم جلبه معه من البيت ليجود
به ، فشكر له القائمون على موكب المعونة ، وفصلوا عن
الحجرة يتلقفون ما يسخو به المتبرعون من هنا وهناك ،

فسمعهم « العنتيل » الى البهو ، وفيما هو يرجع اذ حانت منه لفتة الى الركن الذى يخلد اليه الساعة عند الفراغ من العمل . وكان على احد الكراسى شئ يتخايل ، فما ان لمح « العنتيل » حتى جعل ينتهبه بنظرات سراع ، ثم احس بقلبه يخفق ، ويديه ترتجفان ، وفي هذه اللحظة كان الموكب يتأهب لمبارحة المصلحة ، والناس من خلفه حشود ، فالفى « العنتيل » قدميه تدفعان به الى ركن الساعة ، واذا هو يختطف ذلك الشئ الملقى على الكرسي ، ويعجل به الى الموكب ، وهو يتصايح :

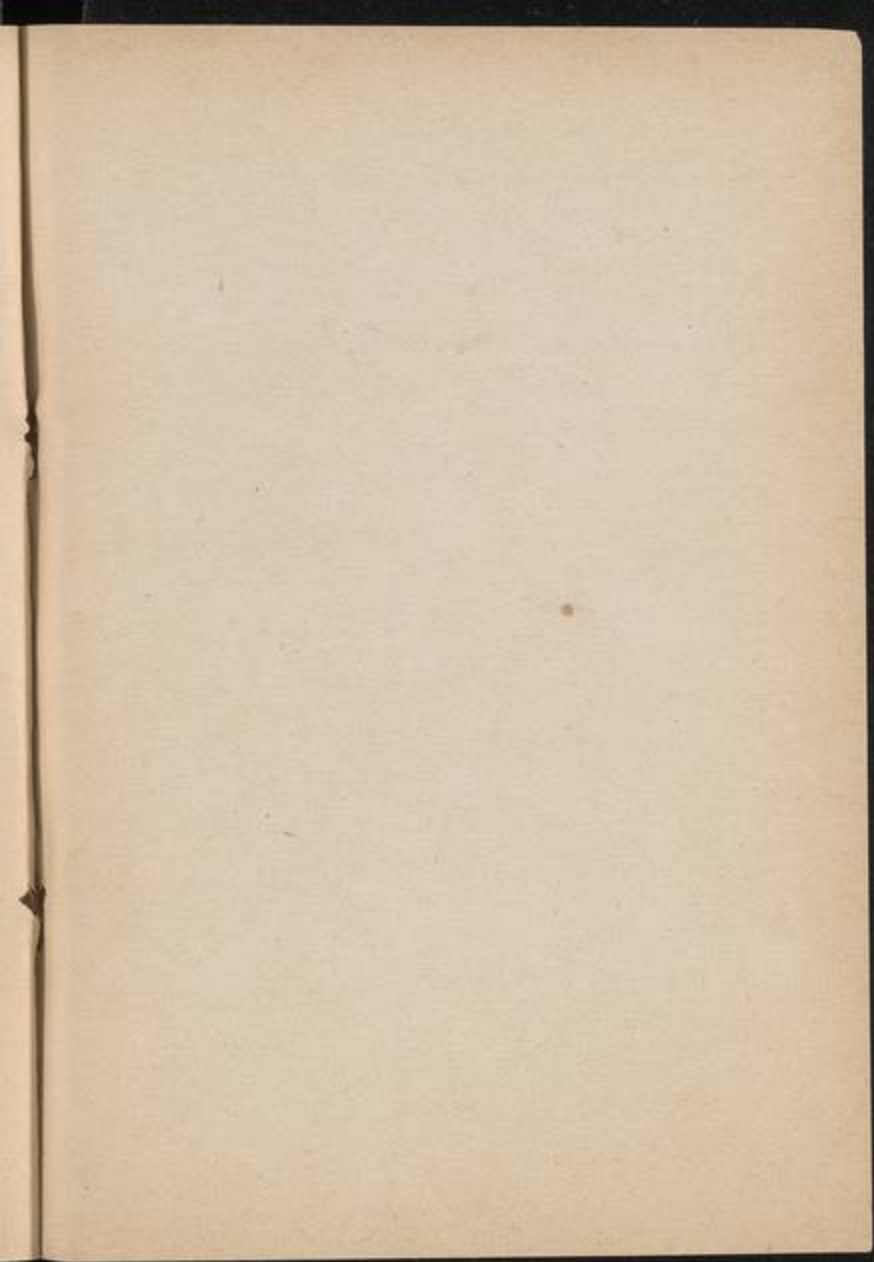
— هذه منحة « عم مؤمن » ساعى الادارة ... لقد اوصى لكم بها ... ومن تطوع خيرا فهو خير له !
ودفع المعطف الى الرئيس القائم على جمع المعونة ، فتلقاه بالحمد والثناء ، واصطخب في الجو هتافات حارة بحياة « عم مؤمن » ساعى الادارة الهمام !

وبعد قليل خرج الساعى من حجرة المحفوظات في سرداب المصلحة ، وكان يودعها بعض الملفات ، فلما اقترب من بهو الادارة سمع الهتاف باسمه ، فهرول يستخبر عن سر هذا الهتاف ، فانهوا اليه الخبر ، فانسدت على عينيه غشاوة من دهشة ، وانبعث في اعقاب الموكب يستنقذ معطفه ، ولكن عز عليه ان يشق الزحام ، فحاول ان يزق بأعلى صوته ، فذابت صرخاته في عباب الضجيج !

وتراجع الساعى الى ركنه في البهو ، والدنيا تدور به ، وصوته يخنق على شفتيه ، وما عثم ان تخاذلت اوصاله ،

فتهاوى على الكرسي ، مفشيا عليه . . . وفي هذه اللحظة
احس الرجل يدين رقيقتين تحيطان به ، وصوتا عطوفا
يتحدث اليه ، فرفع جفنيه قليلا يتبين ، فرأى « العنتيل »
حياله اول من سارع الى نجاته ، والاطمئنان عليه !
وبينما هو على تلك الحال ، كان موكب المعونة يتدفق
في الشارع ، والاصوات تتعالى باسم « عم مؤمن » ساعى
الادارة العظيم ، هاتفه بحياته تمجد فيه بطولة الخير
والاحسان !





فهرس

صفحة

٧		مقدمة المؤلف
١١		ثأرون
٩١		العصفورة
١٠٥		ام سحلول
١٢١		خائب الدهر
١٤٣		يا سادة يا كرام
١٥٣		ساق من خشب
١٦٧		رهان
١٨٧		حنين
٢٠٣		جاء الشتاء

الكتاب القادم

زهرة العمر

تأليف

توفيق الحكيم

يصدر في ٥ فبراير

كتاب « الهلال »

سلسلة كتب شهرية بثمن زهيد

هي خطوة ثقافية كبيرة قامت بها دار الهلال لتيسر القراءة المفيدة للجميع .. ففي الخامس من كل شهر يصدر كتاب قيم لأحد كبار الكتاب في الشرق والغرب ، في اخراج أنيق وطباعة متقنة ، ثمن الكتاب الواحد ٨٠ مليما (ما عدا كتاب زيتب ١٠٠ مليم) بخلاف مصاريف البريد المسجل ، وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن الكتب الآتية:

غاندى : القديس الشائر	عبقريه محمد
تأليف اوبس فيشر	تأليف عباس محمود العقاد
زعيم الثورة سعد زغلول	ماجلان قاهر البحار
تأليف عباس محمود العقاد	تأليف ستيفان زفايج
الزعيم أحمد عرابي	هرون الرشيد
تأليف عبد الرحمن الرافعي	تأليف المرحوم الدكتور أحمد أمين
بطلة كربلاء (نعدت نسخة)	أبو الشهداء
تأليف الدكتورة بنت الشاطيء	تأليف عباس محمود العقاد
أشعب أمير الطفيليين	جنكيز خان سفاح الشعوب
تأليف توفيق الحكيم	تأليف ف. ٠ بان
نفرتي ربة الجمال والتاج	قلب النسر
تأليف صوفي عبد الله	تأليف أوكشاف أوبري
حديث رمضان	السيد عمر مكرم
تأليف الامام محمد مصطفى المراغي	تأليف محمد فريد أبو حديد

عصا الحكيم في الدنيا والاخرة
تأليف توفيق الحكيم

أبو نواس
تأليف عبد الرحمن صدقي

البؤساء
تأليف فيكتور هيجو

علمتني الحياة
لنخبة من الشرق والغرب

في الطريق
تأليف ابراهيم عبد القادر المازني

مدرسة المفلين
تأليف توفيق الحكيم

لا تقتل نفسك
تأليف بيترشتاينكرون

عصاميون من الشرق والغرب
لنخبة من كبار الكتاب

ذو النورين عثمان بن عفان
تأليف عباس محمود العقاد

محمد الثائر الاعظم
تأليف فتحي رضوان

الارواح المتمردة الاجنحة المتكسرة

الموسيقى
تأليف جبران خليل جبران

عش مائة عام
تأليف جابلورد هاويز

عبقريه خاله
تأليف عباس محمود العقاد

الذئب الاغبر مصطفى كمال
تأليف الكاتبين ه.س. ارمسترونج

كليوباترة في خان الخليلى
تأليف محمود تيمور

الاسلام دين الفطرة
تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش

لا تخف

تأليف ادوارد سبنسر كولز
مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية

تأليف عبد الرحمن الراافى

القائد الاعظم محمد على جناح
تأليف عباس محمود العقاد

زينب

تأليف الدكتور محمد حسين هيكل

مذكرات عرابى (جزء أول)

تأليف الزعيم احمد عرابى

مذكرات عرابى (جزء ثان)

تأليف الزعيم احمد عرابى

عبقريه عمر
تأليف عباس محمود العقاد

أمنة بنت وهب
تأليف الدكتورة بنت الشاطئ

فاطمة الزهراء والفاطميون

تأليف عباس محمود العقاد

الحرية الحمراء
تأليف حبيب جاماتي

أهل الكهف
تأليف توفيق الحكيم

الله

تأليف عباس محمود العقاد

عش شابا طول حياتك
تأليف فيكتور بوجومولتز

علم الفراسة الحديث
تأليف جرجي زيدان

نساء النبي

تأليف الدكتورة بنت الشاطيء

ويمكنك الحصول على ما ينقص مجموعتك من هذه الكتب من قسم
الإشتراكات بدار الهلال شارع محمد بك عز العرب (المبتديان) بالقاهرة
وشركة الصحافة المصرية بشارع النبي دانيال بالإسكندرية ، ومن شركة
الصحافة المصرية بميدان المحطة بطنطا ، ومن السيد محمود حلمي صاحب
المكتبة المصرية شارع المتنبي ببغداد ، ومن شركة فرج الله للمطبوعات
بشارع بيكو طريق المالكى ببيروت ، ومن المكتب العام لتوزيع المطبوعات
لصاحبه السيد علي نظام ببنابة العابد بدمشق ، ومن جميع المكاتب
الشهرة ، واكتشاك الصحف ما عدا الكتب التي نفدت نسخها كما ترى
في هذا الكشف



رسالة دار الهلال

لدار الهلال غاية تسعى اليها ، كما أن لها
خطة مرسومة تسير عليها . فاما الغاية
فالمساهمة في رفع المستوى الثقافي في مصر
والاقطار العربية . واما الخطة فالتوفيق بين
قديمنا وحديثنا . والجمع بين محاسن الشرق
ومحاسن الغرب : فلا جمود ولا طفرة بل هو
تمش وئيد في سبيل الرقي الوطني

ودار الهلال تؤدي واجبها بهدوء وعزيمة
معا ، مطمئنة الى ما قد انتجت ، متطلعة الى
اتقان ما تنتج ، لا تداهن فريقا ولا تتملق
كبيرا ، ولا تتساهل قيد شعرة فيما تعتمد
حقا وصوابا

ودار الهلال تؤمن ببقاء العمل الصالح ،
واخفاق ما عداه . وهي لذلك لا تحفل
بالسفاسف والصفاثر ، بل ترحب بكل فكرة
نزيهة وتعضد كل جهد شريف

وشعارها على الدوام : الى الامام !

وكلاء مجلات دار الهلال

- سوريا ولبنان :** شركة فرج الله للمطبوعات - مركزها الرئيسي بطريق الملكي المتفرع من شارع بيكو في بيروت (تليفون ٧٨ - ١٧) صندوق بريد ١٠١٢ - أو باحدى وكالاتها في الجهات الأخرى . (الأعداد ترسل بالطائرة للشركة وهي تتولى تسليمها لحضرات المشتركين)
- العراق :** السيد محمود حلمي - صاحب المكتبة العصرية - بغداد
- اللاذقية :** السيد نخلة سكاف
- مكة المكرمة :** السيد هاشم بن علي نحاس - ص.ب. ٩٧
- البحرين والخليج :** السيد مؤيد احمد المؤيد - مكتبة المؤيد - البحرين
- النفارسي :** السيد محمد علي بوقعيقص - بنغازي -
- برقصة :** ص.ب. ١٠٤
- البرازيل :** Snr. Jorge Suleiman Yazigi, Rua Varnhagem 30, Caixa Postal 3766, Sao Paulo, Brazil.
- ساحل الذهب :** The Queensway Stores, P.O. Box 400, Accra, Gold Coast, B.W.A.
- نيجيريا :** Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.
- انجلترا :** مكتب توزيع المطبوعات العربية
Arabic Publications Distribution Bureau
7, Bishopsthorpe Road, Sydenham,
London S.E. 26, England.

316 هذا الكتاب

تحدث الكثيرون عن ادب الثورة ، وطالبوا
الادباء بأن يكون لهم ادب يلائم هذا الحادث العظيم
الذي غير مجرى التاريخ المصرى
ولقد قال البعض أن ادب الثورة لا يأتى الا
بعد الثورة ، كما حدث فى الثورات التاريخية
الآخري . وكان الاستاذ محمود تيمور اسبق
القصصيين الى الانتاج الثائر فآلف قصة
جديدة هى « ناثرون »

هذه القصة تصور كفاح هذه الفئة الشابة
الصلحة التى عاشت فى العهد المظلم السابق ،
وكانت نفوسها تضطرم بالثورة على ذلك الفساد
الذى كان يجتاح البلاد ، وقد اتاح الله لمصر قادة
الثورة الذين عقدوا العزم على الموت فى سبيل
الحق أو الانتصار على الباطل فأيدهم الله بنصره
والى جانب قصة « ناثرون » احتوى هذا
الكتاب قصصا شائقة أخرى تمثل حياتنا الحاضرة
فى صور مختلفة لما تجاوب فى نفس المؤلف من
شئون الحياة العامة ، ولما أوحاه اليه وعى
الامة فكان من ذلك مجموعة قصصية ممتعة
تضيف ثروة جديدة الى فن القصة الحديث